غير مرخصة للطباعة

المحـور الثامـن

التَّاريخ والشخصيَّات الإسلاميَّة

١٤٣

نســـاء مـؤمـنـات

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٣٥].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن قـــرة بن إياس قـــال: قال رســـول الله ﷺ: «**كمل من الرجـــال كثير، ولم يكمل من النســـاء إلا ثلاث: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**». رواه ابن مردويه في تفسيره.

عن المســـور بن مخرمة، أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «**فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني**». متفق عليه.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه.

(أمَّا بعد)

فإنَّ قضيَّة الإيمان هي أعظم قضايا الوجود؛ لأنَّها قضيَّة المبدأ والمصير، والغاية والرسالة، ولا سبيل إلى تماسك المجتمع، أو سعادة الفرد في الأولى والآخرة بغير الإيمان، فالإيمان ضرورة دينيَّة، وضرورة دنيويَّة، ضرورة فرديَّة، وضرورة اجتماعيَّة، وهو في الواقع جوهر الحياة ورُوحها وجمالها.

ولهذا كان على كلِّ ذي فكر، وذي قلمٍ أو لسانٍ، وكلِّ من له قدرة على التأثير والتوجيه، أنْ يعمل على تثبيت معاني الإيمان، وحقائق الإيمان، وأخلاق الإيمان، في أنفس النَّاس وحياتهم، حتَّى يَسْعدوا بالحياة، وتسعد بهم الحياة، ويتزوَّدوا بخير الزاد لما بعد هذه الحياة.

وقد شغلتني قضيَّة الإيمان باعتبارها «قضيَّة الإنسان المصيريَّة» الأولى، فكتبت فيها وحولها، ولا زلت أكتب ولن أزال.

QaradawiBooks.com

كتبت عن «الإيمان والحياة»، وعن قضايا الإيمان الكبرى، مثل قضيَّة «وجود الله ﷻ»، وقضيَّة «التوحيد» أساس الإيمان ولبُّه في الإسلام، وقضيَّة «الإيمان بالقدر» وغيرها.

كما رأيت أنَّ من وسائل تثبيت الإيمان عرض «نماذج مؤمنة» يرى النَّاس فيها معاني الإيمان وقيمه وفضائله مجسَّمة في بشرٍ يمشون على الأرض، يمكن أنْ تتَّخذ من حياتهم أسوةٌ حسنة.

وهذا سرُّ عناية سلفنا رضي الله عنهم بكتب الطبقات والتراجم للعلماء والزهاد والصالحين، ليكون من سيرهم منارات إرشاد، ومصابيح هداية.

وقد بدأت بعرض هذه النماذج الرائعة لعدد قليل من «النساء المؤمنات» وعسى أنْ يمدَّنا الله بالعون والتوفيق لنضيف إليها غيرها، من نساء الأُمَّة الصالحات القانتات الفاضلات. ومن رجال الأُمَّة كذلك.

ولعلَّ من الخير الَّذي قدَّره الله أنْ بدأنا بنماذج النساء المؤمنات قبل الرجال المؤمنين.

ذلك لأنَّ المَيْدان النسائي قد غزاه شياطين الإنس، فأفسدوا على المرأة المسلمة تفكيرها ووجدانها وسلوكها، فأصبحت في حاجةٍ ماسَّة إلى أنْ تردَّ إلى رشدها، وتعود إلى أصالتها، وتعتزَّ بشخصيَّتها الإسلاميَّة، وترفض التقليد الأعمى، والتبعيَّة الذليلة للغرب أو للشرق، راضية بالله وحده ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا.

هذا مع أنِّي لاحظت من خلال تجاربي في الدعوة والتدريس والإفتاء أنَّ المرأة أشدُّ اهتمامًا بالدين وتأثُّرًا به من الرجل؛ لأنَّ قلبها في الغالب أشدُّ حساسية وشفافية من قلب الرجل.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

لهذا كان على الدعــاة والمصلحين أنْ يوجِّهــوا اهتمامهم إلى هذا المَيْدان الخطير، مَيْدان المرأة، مُســتعينِين بكلِّ الوســائل والأســاليب الكفيلة بمواجهة وسائل الهدَّامين وأساليبهم.

فإلى كلِّ امرأةٍ مســلمة، فتاةً كانــت أو زوجةً أو أمًّــا أو عُضْوًا في المجتمع، أُقَدِّم هذه النماذج المؤمنة، لعلَّها بها تقتدي فتهتدي.

وبالله التوفيق، ومنه العون، وعليه التوكُّل والاعتماد.

يوسف القرضاوي

٥ ربيع الأول سنة ١٣٩٩هـ

٢ فبراير سنة ١٩٧٩م

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

خديجة بنت خويلد

عن عائشة قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا ذبح الشاةَ يقول: «**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**»[١]. قالت: فذكرت له يومًا، فقال: «**إنِّي لأحبُّ حبيبَها**»[٢].

خديجة في الجاهليَّة:

هي خديجة بنت خويلد بن عبد العُزَّى بن أسد القرشيَّة الأسديَّة الصِّدِّيقة الكبرى، والأمُّ الأولى للمؤمنين، والزوجة الأولى للرسول الكريم، وأمُّ أولاده جميعًا إلَّا إبراهيم[٣].

كانت في الجاهليَّة تحت أبي هالة بن زُرَارة التَّمِيمي، وقد مات عنها، بعد أنْ ولدت له هِنْدًا الَّذي آمن بالرسول وصحبه وشهد معه بدرًا، كما ولدت له هالة بن أبي هالة وكان له صُحْبَة أيضًا[٤].

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٥).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٠٣/٨)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١٩٠/١، ١٩١)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مصطفى الحلبي، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

(٤) انظر: المصدر السابق (٦٤٣/٢).

نسخة تجريبية

وبعد موت أبي هالة تزوَّجها عَتِيقُ بن عابد المَخْزُومي فولدت له بنتًا اسمها هِنْدُ، لها إسلامٌ وصحبة[١]، ثمَّ خَلَف عليها بعد عَتِيقٍ سَيِّدُ الأزواج محمَّد بن عبد الله.

وكانت خديجة تدعى في الجاهليَّة: الطاهرة، لشدَّة عفافها وصيانتها، ويصفونها بسيِّدة نساء قريش.

خديجة التاجرة:

كانت خديجة امرأةً تاجرةً ذات شرفٍ ومالٍ تستأجر الرجالَ في مالها، وتضاربُهم إيَّاه بشيءٍ تجعله لهم[٢]، وكانت قريش قومًا تجارًا.

وفي جلسةٍ بين أبي طالبٍ ومحمَّد ابن أخيه قال له: يا ابنَ أخي، أنا رجلٌ لا مالَ لي وقد اشتدَّ الزمان علينا، وألحَّت علينا سُنون مُنكَرة، وليس لنا مادَّة ولا تجارة، وهذه عِيرُ قَوْمِك، قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة تبعث رجالًا من قومك يتَّجرون في مالها ويُصيبون منافع، فلو جئتَها لفضَّلتك على غيرك لما يبلغُها عنك من طهارتك.

فقال محمَّد عليه السلام: لعلَّها ترسل إليَّ في ذلك.

فقال أبو طالب: إنِّي أخافُ أنْ تُوَلِّيَ غيرَك.

وبلغ هذا الحوار بين محمَّد وعمِّه إلى خديجة، فما كان منها إلَّا أنْ أرسلت إليه، لِمَا عرفت عنه من الصدق والأمانة، وحسن السُّمْعة، وعرضت عليه أنْ يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢١٦/٨)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١٨٧/١، ١٨٨).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ما كانت تعطي غيره من التجــار، مع غلامٍ لها يُقال له «مَيْسَــرة» فقبل رسول الله منها، وخرج في مالها ذلك، ومعه غلامُها مَيْسرة إلى الشام[١].

شريكة التِّجارة تصبح شريكة الحياة:

عاد محمَّد من الشــام بربحٍ وفيرٍ لم تحصــل عليه خديجة من قبل، وعاد إليها غلامها بحديثٍ أوفرَ من الربح عن هذا الرفيق الكريم وما رأى ولمس فيه من سُمُوِّ الأخلاق وعجيب الآيات.

وهفا قلب خديجةَ إلى محمَّد أنْ يَشْــرَكَها في الحياة كما شَرِكها في التِّجارة فإنَّه رجلٌ نادرُ المثال حقًّا!

شابٌّ، وليس فيه عبث الشباب، تاجرٌ، وليس فيه جشع التجار، فقيرٌ وليس فيه ضِعَة الفقراء، قرشيٌّ، وليس فيه زَهْوُ قريشٍ.

إنَّ الرجال اعتادوا أنْ يَخْطِبوا النساء، فكيف تَخْطِب المرأةُ الرجل؟

هذه هي المشــكلة، ولكنَّ خديجة تَحُلُّها عن طريق صديقتها نَفِيسة أخت يَعْلَى بن مُنْيَة، أرســلتها خديجة دَسِيسًــا إلى محمَّــد، فقالت له: ما يمنعك أنْ تتزوَّج؟

قال: ما في يديَّ شيء.

قالت: فإن كُفِيتَ ودُعِيتَ إلى المال والجمال والكفاءة؟

قال: ومن؟ قالت: خديجة. قال: وكيف لي بذلك؟

قالت: عليَّ ذلك.

(١) سيرة ابن هشام (١/١٨٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فسارع الرسول إلى إعلان قبوله، وذهبت نَفِيسَة إلى خديجة فبشَّرتها بنتيجة هذا الحديث، ولم تلبث خديجة أنْ حدَّدت الموعد الَّذي يلتقي فيه محمَّد وأعمامه بأهل خديجة، فذهب الرسول ومعه عمَّاه أبو طالب وحمزة وخطبوا خديجة من عمِّها عمرو بن أسد، وكان صَدَاقُها عشرين بَكْرة، وكانت سنها أربعين سنة، وكان هو في الخامسة والعشرين على أشهر الأقوال[1].

زواجٌ مثاليٌّ:

لقد كان من الميسور لمحمَّد بن عبد الله أن يتزوَّج فتاةً من أبكار قريش، بدل هذه الثَّيِّب الَّتي تزوَّجت مرَّتين، وبلغت الأربعين أو جاوزتها، وأوشك وجهها أنْ يتجعَّد، وشعرها أنْ يَشِيب.

لو كان من عُشَّاق الجسد وطُلَّاب الشهرة لكان له في الأبكار الصغار مُتَّسعٌ، وهو الفحل لا يُقْدَع أنفه، والقرشيُّ الهاشميُّ لا تردُّ خِطْبتُه، وله من قوَّة شخصيَّته، وحسن سُمْعته ووسامة طَلْعَته، وشهرة أسرته، ما يزيل العقبات، ويُمهِّد السبيل.

ولكنَّه كان يَنْشُد العقل الرشيد، والقلب الكبير، فوجدهما في خديجة.

وكان أمام خديجة ـ وهي يومئذٍ أوسط نساء قريش نسبًا، وأعظمهنَّ شرفًا، وأكثرهنَّ مالًا ـ من عظماء قريش وأثريائها من يتمنَّى زواجها، ومن أرسل إليها يخطبها، ولكنَّها رغبت عنهم جميعًا، شعرت بأنَّهم يخطُبون مالَها لا شخصها، يخطُبون خديجةَ الغنيَّة، لا خديجة الإنسان.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/١٨٧).

QaradawiBooks.com

ردَّت خديجة يدَ أشــراف قريش، ولم تجد حرجًا أنْ تعرض نفسها ـ بواسطة أو بغير واسطة ـ على الشــابِّ الفقير الَّذي يعمل في تجارتها، إنَّها وجدت في محمَّد ضالَّتَها، فاختارته بقلبهــا المُلْهَم، وإنَّما اختارت لنفسها في الحقيقة الخلودَ، ودخلت التاريخ من أوسع الأبواب.

ومن أولــى بمحمَّدٍ من خديجــةَ؟ وأولى بخديجةَ مــن محمَّد؟ إنَّ المرأة الَّتــي يُلقِّبونهــا بالطاهرة أولى بالرجــل الَّــذي يُلَقِّبونه بالأمين ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦].

وكان زواجًا سعيدًا موفَّقًا لم تَغِمْ ســماؤه يومًا من الأيام، ولم يُعَكِّر صفوَه افتنان المرأة الغنيَّة بمالها، ولا اعتداد الشــابِّ الفتيِّ بشبابه، بل كان شبابُه كلُّه لها، وكان مالها كلُّه له، يبذل منه ما يرى في صلة الرحم، ووجوه البرِّ، وصنائع المعروف.

أصابت النَّاس سَنَة جدبٍ فجاءت حَلِيمة السَّــعْدِيَّة مُرْضِعة الرسولِ إليه، فأكرم وفادتَها، وعادت من عنده ومعها من مال خديجة بعيرٌ يحمل الماء، وأربعون رأسًا من الغنم.

وكانت خديجة أوَّل امرأةٍ تزوَّجها رسولُ الله ولم يتزوَّج عليها غيرها حتَّى ماتت رضي الله عنها.

وقد ولدت له أولادَه كلَّهم، إلَّا إبراهيم: ولدت له من الذكور: القاسمَ وهو أكبر بَنِيــه، وبه كان يُكْنَّى بعــد البعثة، وعبــد الله ويُلَقَّب بالطيِّب والطاهر، ومن الإناث: رقيَّة ثمَّ زينب ثمَّ أمَّ كلثوم ثمَّ فاطمة أصغر بناته.

فأمَّا القاســم وعبد الله فماتا في الجاهليَّة، وأمَّــا البنات فقد أدركن الإسلام، وهاجرن معه عليه السلام.

QaradawiBooks.com

وقد كان يُتَوَقَّع من خديجة أنْ يهلع فؤادها لموت أبنائها من رجلٍ تحبُّه في عصر كانت توأد فيه البنات، ولكنَّها كانت دائمًا مثال العزم الراسخ والإيمان الصبور.

خديجة المؤمنة:

ثلاث نسوة بارزات في حياة الرسل الثلاثة أصحاب الديانات الأخيرة الكبرى: آسية امرأةُ فرعونَ في حياة موسى، ومريم ابنة عمران في حياة عيسى، وخديجة في حياة محمَّد ﷺ، كل واحدة منهن كفلت نبيًّا مرسلًا قبل بعثته، وأحسنت الصُّحْبة في كفالته، وصدَّقت به بعد رسالته، لهذا جمع الرسول بين هؤلاء الكوامل في عِقْدٍ واحدٍ فقال: «**كمُل من الرجال كثيرٌ، ولم يكمُل من النساء إلَّا مريمُ ابنةُ عمران، وآسية امرأةُ فرعون، وخديجة بنت خُوَيْلد**»[(١)].

وإذا كان بعض الحكماء يقول: «إنَّ وراء الرجل العظيم امرأةً تشدُّ أَزْره» أمَّا كانت أو زوجًا، فقد كانت خديجةُ المرأةَ الَّتي وراء محمَّد ﷺ.

أعانته في الجاهليَّة على حياته الطاهرة النقيَّة البعيدة عن الأوثان والخمر والميسر واللغو والشهوات، وكانت له ظهيرًا في حياة التجرُّد والتأمُّل والبُعد عن صَخَب النَّاس وضوضاء الحياة.

كانت تُهَيِّئ له الزاد كلَّ عامٍ ليقضي شهر رمضان في غار حراء، ولو كان الأمر لعاطفتها المجرَّدة ما رضيت ـ كامرأةٍ ـ أنْ يغيب عنها ليلةً واحدةً، فكيف بالليالي ذوات العدد[(٢)]؟

---

(١) عزاه ابن كثير في البداية والنهاية (٣٢٣/٤)، لابن مردويه، وصحَّح إسناده، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) إشارة إلى حديث عائشة المتَّفق عليه، وفيه: وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه ـ وهو التعبد ـ =

QaradawiBooks.com

ولكنَّها تُحِسُّ أنَّ زوجها غير الرجال، وأنَّ له شــأنًا أيَّ شأن، فلتكن عونَه على مُثُله الرفيعة، وقِيَمه العليا، وقد كانت تصحبه أو تزوره أحيانًا في هذا الغار، وتبقى معه أيامًا ولياليَ تُؤْنســه وترعاه، ومن طواعيتها له قبل البعثة ومسارعتها في هواه أنَّها رأت ميله إلى زيد بن حارثة ـ بعد أنْ صار في مِلْكها، فوهبته له، فكانت هي الســبب فيما امتــاز به زيدٌ من السَّبْق إلى الإسلام.

هذه خديجة في الجاهليَّة، وأمَّا بعد الرســالة، فاســتمِعْ إلى عائشة تروي موقفَها من الرســول حينما تلقى أوَّل شُحْنة من وحي السماء في غار حِرَاء، وغَطَّه جبريلُ حتَّى بلغ منــه الجَهْدُ، فعاد إلى خديجةَ ترجُفُ بَوَادِرُه يقول: «**زمِّلُوني زَمِّلُوني، لقد خشيتُ على نفسي**»[١].

ولــم تكن خديجةُ ممَّــن يطير لُبُّهــم فَزَعًا، ولم يكنْ هــذا الطارئ العجيبُ الغريبُ لِيُذْهِلَها عن سَــدادِ الرأي، ومنطقِ الحكمة، لقد عرفت بنور بصيرتها وسلامة نظرتها سُــنَّة الله في معاملة عباده، فقالت لزوجها في ثقةٍ ويقينٍ: كلَّا، واللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أبدًا، إنَّك لتَصِلُ الرَّحِم، وتحملُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المعدوم، وتَصْدُق الحديثَ، وتَقْرِي الضيف، وتُعِينُ على نوائب الدَّهر[٢].

وفي رواية قالت له: أبشــرْ واثبُتْ يا ابنَ عمِّ، فوالَّذي نفْسُ خديجةَ بيده، إنِّي لأرجو أنْ تكون نبيَّ هذه الأُمَّة[٣].

= الليالي ذوات العدد قبل أن ينــزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجــع إلى خديجة فيتزود لمثلها». رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠).

(١) جزء من الحديث السابق.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) السيرة النبويَّة لابن هشام (٢٣٧/١، ٢٣٨).

QaradawiBooks.com

ولم تكتف بالقول، بل صَحِبَتْه إلى ابـــن عمِّها ورقةَ بنِ نوفل ـ وقد كان امـــرأً تنصَّر في الجاهليَّة، وعرف العِبْرَانيَّـــة، وكتب بها من الإنجيل ما شـــاء الله أنْ يكتب ـ فقالت لـــه خديجةُ: أي ابن عمِّ، اســـمعْ من ابن أخيكَ. فقال له ورقة: يا ابنَ أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس الَّذي أنزله الله على موسى[١].

وهكذا كانت خديجةُ مَلَاكَ الرحمة، والمرفَأ الأمين، والملاذ المكين لمحمَّد ﷺ.

كانت أُنْسَـــه إذا اســـتوحش، وكَنْزَه إذا احتاج، وأمله إذا اســـتيْئس، وطمأنينتَه إذا اضطربت من حوله الحياة.

قال ابن إســـحاق: «كانت خديجة أوَّل من آمن بالله ورسوله، وصدَّق بما جاء به، فخفَّف الله بذلك عن نبيِّه، فكان لا يســـمع شيئًا يكرهه، من الردِّ عليه، والتكذيب لـــه، فيحزنه ذلك، إلَّا فرج الله عنـــه بها إذا رجع إليها، تُثَبِّته وتُخَفِّف عنه، وتُهَوِّن عليه أمر النَّاس»[٢].

شاطرته متاعبَ الدعوة وآلامَ الرســـالةِ راضيةً مُغْتَبِطة، دخل الشعب فدخلت معه، وذاقت مـــرارةَ الحرمان وعضَّة الجـــوع، وهي ذات المال الوفير، وربيبةُ الرفاهية والنعيـــم، فلا عجب أنْ يحمل إليها أمينُ الوحي السلام من فوق سبع سماوات!

روى البخاري عـــن أبي هُرَيْرة قال: «أتى جبريل إلى رســـول الله ﷺ فقال: يا رســـولَ الله، هذه خديجة قد أتت معها إناءٌ فيـــه طعام، فإذا هي

(١) جزء من حديث عائشة الأسبق.

(٢) سيرة ابن هشام (١/٢٤٠).

QaradawiBooks.com

أتتك فاقرأْ عليها الســلام من ربِّها ومِنِّي، وبَشِّــرْها ببيتٍ في الجنَّة من قَصَبٍ، لا صخبَ فيه ولا نصبَ»[١].

قال السُّهَيْلِيُّ: إنَّما كان البيت بهذا الوصف لأنَّها لم ترفعْ صوتَها على النبيِّ ﷺ ولــم تُتْعِبْه يومًا مــن الدهر، ولم تَصْخَــبْ عليه مرَّة ولا آذَتْه أبدًا[٢].

وفاةٌ ووفاء:

في السَّــنَة العاشــرة من البعثة وقبل الهجرة بثلاث سنين شاء القدرُ الَّذي يبتلي الناسَ على قَدْرِ دِينهم أنْ يختطف من الرسول زوجَه الحبيبةَ خديجة، الَّتي كانت له ـ كما قال ابن هشام ـ وزيرَ صِدْقٍ على الإسلام[٣].

وقبلها بقليلٍ مات ســاعدُه الأيمنُ عمُّه أبو طالب، تلك كانت مَلَاذَه في الداخل، وهذا كان عَضُدَه وناصرَه فــي الخارج، فكان هذا المصاب بعد ذاك جديرًا أن يترك في نَفْس النبيِّ أثرًا عميقًا جعله يُسمِّي هذا العامَ عامَ الحُزن.

ماتت خديجةُ ولكنَّ ذِكْراها لم تمُتْ في نَفْسِ رســولِ الله، لقد ظلَّ وَفِيًّا لها طَوَال حياتــه: يحنُّ لذِكْراها ويَهَشُّ لأهلهــا، ويُكْرِم صديقاتها، حتَّى إنَّ عائشةَ أحبَّ أزواجه إليه بعدَها لتَغَارُ منها في قبرها، قالت: كان رسولُ الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتَّى يذكر خديجةَ فيُحْسِن الثناء

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٢٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٢). وقال النووي: القصب هنا: اللؤلؤ المجوف. انظر: رياض الصالحين صـ ٢٣٧، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٣١٧/٤، ٣١٨).

(٣) سيرة ابن هشام (٤١٦/١).

QaradawiBooks.com

عليها، فذكرها يومًا مـــن الأيام، فأخذتني الغَيْرة، فقلـــتُ: هل كانت إلَّا عجوزًا قد أبدلك اللهُ خيرًا منها؟

فغضب حتَّـــى اهتزَّ مُقَدَّم شـــعره مـــن الغضب، ثمَّ قـــال: «**لا واللهِ، ما أبدلني اللهُ خيرًا منها، آمنتْ بي إذ كفـــر الناس، وصدَّقتني إذ كذَّبني الناس، وواســـتْني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقنـــي اللهُ منها الولدَ دونَ غيرِها من النســـاء**»[(١)]! قالت عائشة: فقلتُ في نَفْســـي: لا أذكرها بعدها بسيِّئة أبدًا[(٢)].

رحمها الله، ورَضِـــيَ عنها، وجزاها عن نبيِّـــه ودعوته خيرَ ما يجزي الصِّدِّيقات.

* * *

(١) رواه أحمد (٢٤٨٦٤) وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والطبراني (١٣/٢٣)، وحسَّـــن إســـناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢٨١). عن عائشة.

(٢) انظر: الإصابة لابن حجر (١٠٣/٨).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فاطمة الزهراء

عن المِسْــوَر بن مَخْرَمَة قال: ســمعتُ النبيَّ ﷺ على المِنْبَر يقول: «**فاطمةُ بَضْعةٌ مِنِّي، يُؤذِيني ما آذاها، ويَرِيبُني ما رابها**»(١).

اللهمَّ هؤلاء أهلي:

اسمها فاطمة، ولقبها الزَّهْراء، اسمٌ له في التاريخ رنين، انتسبت إليه أُسَــرٌ، فعرفوا بين النَّاس بالأشــراف، واقترنت به دُوَل فسَــمَّوا أنفسهم بالفاطميِّين.

أبوها محمَّد رسولُ الله وكفى.

وأمُّها خديجة بنت خويلد وحسْبُك.

وزوجها عليُّ بن أبي طالب، وحفيدُ عبد المُطَّلب، ونجيب هاشــم، وفتى قريش، وفارس الإسلام.

وابناها الحسنُ والحُسَيْن رَيْحَانتا رســولِ الله ﷺ، وسيِّدا شبابِ أهل الجنَّة.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٣٠)، ومســلم في فضائــل الصحابة (٢٤٤٩)، عن المسور بن مخرمة.

QaradawiBooks.com

وهي وزوجها وابناها خاصَّة النبيِّ ﷺ، وأقرب النَّاس إليه، وأعزُّهم عليه.

روى مسلمٌ أنَّه حين نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسولُ الله عليًّا وفاطمةَ والحسنَ والحُسَيْن وقال: «**اللهمَّ هؤلاء أهلي**»[(١)].

وأخرج التِّرْمِذِيُّ عن أمِّ سَلَمة: أنَّ النبيَّ ﷺ جعل على الحَسَنِ والحُسَيْن وعليٍّ وفاطمةَ كساءً وقال: «**اللهمَّ هؤلاء أهل بَيْتي وخاصَّتي، أذهبْ عنهم الرِّجْس، وطَهِّرهم تطهيرًا**»[(٢)].

ميراث وتربية:

الخطوط العريضة لمِزَاج الإنسان وتفكيره تَرْسُمُها يد القدر، عن طريق العوامل الوراثيَّة الَّتي تُنْقَلُ إليه من أبوَيْه وأجداده، ما قدر له من خَلْقه وخُلُقه.

والخطوط المفصَّلة لخُلُقه وسُلُوكه وشخصيَّته كلُّها تُؤَثِّر فيها إلى حدٍّ كبيرٍ البيئةُ الَّتي يعيش فيها، وبخاصَّة البيتُ الَّذي يضمُّه في صِغَره. أي أُمُّه وأبوه.

هذا ما قرَّرته علومُ الحياة والنَّفْس والأخلاق والاجتماع.

وهو نَفْس ما قرَّره الدِّين من قبل، حين اعترف بأثر الوراثة، فقال: «**تخيَّروا لنُطَفِكم**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٤)، وأحمد (١٦٠٨)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه الترمذي في المناقب (٣٨٧١) وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد (٢٦٥٠٨) وقال مخرِّجوه: حديث صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه (١٩٦٨)، والدارقطني (٣٧٨٨)، كلاهما في النكاح، وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٠٢)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

واعترف بأثر البيئة، فحذَّر من المرأة الحسناء في المَنْبَت السُّوء.

وقد تهيَّأ لفاطمة من المواريث الأُسَــرِيَّة أعزُّها وأغلاها، ومن البيئة المنزليَّة أشرفُها وأنقاها.

وما ظنُّك بفتاةٍ ورثت عن آبائها وأمَّهاتها ما شــاء الله لها من مجادة قُرَيْش، وأريحيَّة هاشم، وســؤدُدِ عبد المُطَّلِب، وطهارة عبد الله، ومكارم محمَّد، وفضائل خديجة بنت خُوَيْلد وآمنةَ بنت وَهْب؟

وما ظنُّك بفتاةٍ تولد في بيت يَعْمُره الحبُّ، ويُظَلِّله الصفاء، بين أبٍ يُلَقَّب في قومه بالأمين، وأمٍّ تلقَّب في أترابها بالطَّاهرة. هذا سيِّد شباب قُرَيْش، وتلك سيِّدة نساءِ قريش؟!

وُلِدَتْ فاطمةُ قُبَيْل البعثة بزمنٍ اختلفت في تحديده الروايات: خمس ســنوات أو أقل أو أكثر؟ المهمُّ أنَّها وُلِدَتْ في تلــك المرحلة الَّتي كان القــدر يُعِدُّ فيها أباهــا لتلقِّي أعظم رســالة في الوجــود: مرحلة التأمُّل العميــق، والتعبُّد الطويل، والخَلْــوة في غار حراء كلَّ عــام، وفي تمام الأربعين أوحى الله إليه، وبعثه إلى النَّاس كافَّة، وإلى قومه خاصَّة، فشاء اللهُ لفاطمةَ أن تنشأ في أحضانِ النبوَّة، وتَدْرُج في حجر الرسالة، وكأنَّها كانت تَكْبَر مع الدعوة، وتنمو مع انتشارها.

شــهدت أباها ـ واعيةً أو غير واعية ـ يدعو إلى دِينِه ســرًّا، ثمَّ ينذر عشيرته الأقربين، ثمَّ يصدع بأمر ربِّه مُعْرِضًا عن المشركين، مناديًا على جبل الصفا، ثمَّ يحمى الوَطِيس بينه وبين قومه فيُسَــفِّه أحلامهم، ويَهْزَأُ بأصنامهــم، ويُضَلِّل آباءهــم، فيُعَنِّفون عليه في الخصومــة، ويناصبونه العداء، ثمَّ يدخل الشعب، فتدخل معه ومع أمِّها وأخواتها، وتذوق مرارةَ

QaradawiBooks.com

الجُوع، وتُحِسُّ ألم المقاطعة والحرمان، ويتجرع كؤوس الأذى في نفسه وأصحابه، بالقول السيِّئ تارةً، وبالفعل القبيح طورًا.

ترى الفتاة كلَّ هذا، وتُحِسُّــه، وتلمســه، ويفعل ذلك في قلبها فعلَ التيَّار الكهربائي في الأســلاك، وتُسْــهم في درء الأذى عن أبيها، حينًا بيدَيْها، وأحيانًا بدموع عينَيْها! وماذا تملك جُوَيْرِيَة صغيرة لأبٍ عطوف يؤذَى أمام سَمْعِها وبصرها، إلَّا عَبَرات تَذْرِفُها؟!

كان ﷺ يصلي يومًا بالكعبة وبعضُ ســفهاء المشــركين جالسون، فانبعث أشقاهم، فأتى بسَــلَا جَزُورٍ، فألقاها عليه، فلم يزل ساجدًا حتَّى جاءت فاطمةُ فأزالت عنه الأذى[١].

وكانت أمُّ جَمِيل امرأةُ أبي لهبٍ تُلْقِي الأقذار والنجاســات أمام بَيْته، فيُزيلها في هدوء ومعه فاطمة تحاول أن تُعيد إلى المكان نظافته وطهارته[٢].

ولقيه مرَّة سفيهٌ من سفهاء قريش، فرمى على رأسه ترابًا، فرجع إلى بيته والتراب على رأســه، فقامت إليه فاطمة فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ـ وأشقُّ شــيءٍ على نفس الأب أنْ يرى دموع بنيه الصغار، وأشقُّ منه أنْ يرى دموع بناته الصغيرات، وأشقُّ من هذا وذاك أنْ تكون هذه الدموع من أجل الأب نفســه ـ فما إنْ رأى النبيُّ الكريمُ دموعَ ابنتِه على خدَّيْها حتَّى ثبَّت فؤادها، وقال لها مُبَشِّرًا: «**لا تبكي يا بنيَّة، فإنَّ اللهَ مانعٌ أباك**»[٣].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢٤٠)، ومســلم في الجهاد والسير (١٧٩٤)، عن ابن مسعود.

(٢) انظر: الروض الأنف (١٨٢/٣)، تحقيق عمر عبد الســلام السلامي، نشــر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٣) سيرة ابن هشام (٤١٦/١).

QaradawiBooks.com

وظلت الرَّحَى دائرة بين النبيِّ ﷺ والمشركين إيذاءً من جانبهم، وإصرارًا من جانبه، حتَّى كانت الهجرة إلى المدينة، حيث هاجر ومعه أبو بكر، ثمَّ بعث زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكَّة ليأتيا بأهله، ففعلا، وقدما عليه المدينة بزوجته سودةَ بنت زمعة، وابنتيه فاطمة وأمِّ كُلْثوم، واستقرَّ بهم المُقام في الدار الجديدة للإسلام.

عليٌّ يخطب فاطمة:

كان للنبيِّ عليه السلام أربعُ بناتٍ كلُّهن من خديجة: أكبرهنَّ زينب، ثمَّ رُقَيَّة، ثمَّ أمُّ كُلْثوم، ثمَّ فاطمة.

أمَّا زينبُ، فتزوَّجها ابنُ خالتها أبو العاص بن الربيع، وأمُّه هالة بنت خُوَيْلد.

وأمَّا رقيَّة وأمُّ كلثوم تزوجتا من ابني أبي لهب: عُتبة وعُتَيْبة، فلمَّا نزلت سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] ضغط أبو لهبٍ وامرأته على ابنيهما أنْ يُطَلِّقا ابنتي محمَّد فطلَّقاهما[1]، وتزوَّجهما ذو النورين عثمان بن عفَّان واحدة بعد الأخرى.

وأمَّا فاطمة فقد كانت أصغرهنَّ، ولم تبلغ مبلغ النساء إلَّا في المدينة، وهناك أراد عليُّ بنُ أبي طالب أنْ يتقدَّم إلى رسول الله لخِطْبَتها، فذهب إليه يُقَدِّم رِجْلًا، ويؤخِّر أخرى، وتدفعه الرغبةُ والحبُّ، ويمنعه الحياء والفقر.

(١) رواه الطبراني (٤٣٥/٢٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٢٠): رواه الطبراني هكذا مرسلًا، وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف. عن قتادة بن دعامة.
وانظر: الروض الأنف للسهيلي (١٢٨/٥).

QaradawiBooks.com

وها هــو يُحَدِّثنا فيقول: أردت أنْ أخطُبَ إلى رســول الله ابنتَه، واللهِ ما لي شيء، ثمَّ ذكرتُ صِلَتَه وعائدته، فخطبتها إليه، فقال: «**وهل عندك شــيء؟**». فقلت: لا. قال: «**فأين دِرْعُك الحُطَمِيَّة الَّتي أعطيتُكَ يومَ كذا وكذا**». قلتُ: هي عندي. قال: «**فأعْطِها إيَّاها**»[(١)]. فكانت تلك الدِّرْع مهرَ بنت رسول الله.

وبهذا ضرب الرسول مثلًا للآباء في تزويج بناتهم أنْ يكونوا مُيَسِّرين لا مُعَسِّرين.

وضرب عليٌّ مثلًا للشباب المؤمن حين يُقْدِم على الزواج ـ وإن لم يكن معه فضَّةٌ ولا ذَهَب ـ معتمدًا على معونــة ربِّه، وعزيمةِ قَلْبِه، وحَقٌّ على الله أنْ يُعينَ كلَّ شابٍّ يريد العفاف.

وضربت فاطمةُ مثلًا للفتــاة المؤمنة الَّتي يُهِمُّها مــن الرجل إيمانُه وخُلُقــه، لا درهمُــه ودينــارُه، يُهِمُّها ما يحمــل بين جنبَيْه مــن نَفْس، لا ما يحمل بين يَدَيْه من نَفِيس.

لقد أعلن النبيُّ لأصحابه أنَّ خير الصَّدَاق أيسره، وقال لباغي الزواج: «**التمس ولو خاتمًا من حديدٍ**»[(٢)]. وحينما أخبره بعض الصحابة أنَّه تزوَّج المرأة على أربع أواقٍ قال له متعجِّبًا مستكثرًا: «**كأنَّما تنحتون الفضَّة من عُرْضِ هذا الجبل**»[(٣)]!

---

(١) رواه أبو داود (٢١٢٥)، والنسائي (٣٣٧٦)، كلاهما في النكاح، وابن حبان في مناقب الصحابة (٦٩٤٥)، وقال الأرناؤوط: حســن صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٤٩)، عن ابن عباس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٨٧١)، ومسلم في النكاح (١٤٢٥)، عن سهل بن سعد.

(٣) رواه مسلم في النكاح (١٤٢٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

تلك هي تعليماته النظريَّة، وإرشاداته القوليَّة، وهو في زواج ابنته يضيف إلى القول الفعــل، وإلى التوجيه التنفيذ، وما أحســن القول يُزَيِّنه العمل، وما أجمل النظريَّة يُؤكِّدها التطبيق، وما أروع التشــريع يســنده التنفيذ، وما أنفع التربية تقوم على الخُلُق العمليِّ والأســوة الطيِّبة!

عُرْسٌ نموذجيٌّ:

عقد علــيٌّ على فاطمة، ولــم يدخل بها إلَّا بعد أشــهُر، وذلك بعد انتصار الإســلام في بدر، وكأنَّما أراد رسولُ الله أنْ يُتِمَّ الفرحة بنعمة الله عليه، فبنى هو بعائشة، وبنى عليٌّ بفاطمة.

أتدري ماذا كان جهازُ فاطمةَ الزهراء؟

كان جهازها خَمِيلَةً ووسادةً من أَدَم حشــوُها لِيفٌ، ورَحَيَيْنِ وسِقَاءً وجَرَّتَيْن[1]، ذلك هو جهاز سيِّدة النساء، وكريمة سيِّد الأنبياء!

أتدري كيف تمَّ العرس؟

يقول جابر بن عبــد الله: حضرنا عُرْس عليٍّ، فما رأيت عُرْسًــا كان أحسن منه، حَشَوْنا البيتَ طيبًا، وأتينا بتمرٍ وزبيبٍ فأكلنا، وكان فِرَاشهما ليلةَ عُرْسهما إهابَ كبشٍ[2]!

بهذه البســاطة والتواضع تمَّ هذا العُرْس المبــارك، كما تمَّ من قبلُ الزواج والمهر والجهاز، بلا تعقيدٍ ولا تعويقٍ، ولا شططٍ ولا إسرافٍ.

(١) رواه أحمد (٨١٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده قويٌّ. عن عليِّ بن أبي طالب.

(٢) رواه البزار كما في كشف الأســتار (١٤٠٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢١٥): رواه البزار، وفيه عبد الله بن ميمون القداح، وهو ضعيف.

QaradawiBooks.com

وقال الرسولُ لعليٍّ في ليلة الزفاف: لا تُحْدِث شيئًا حتَّى آتيَكما، فذهب إليهما، فدعا فاطمة، فقامت إليه تعثُر في ثوبها من الحياء، فقال لها: إنِّي لم آلُ أن أُنْكِحَكِ ـ أي أزوِّجك ـ أحبَّ أهلي إليَّ. ودعا بماءٍ فتوضَّأ منه، ثمَّ نضح منه عليهما، وقال: «**اللهمَّ باركْ عليهما وباركْ فيهما، وباركْ لهما في نَسْلِهما**»[١].

وتلقَّفت السماءُ الدعاء، فبارك اللهُ في نسلِ عليٍّ وفاطمة، وانقطع نسلُ النبيِّ عليه السلام إلَّا منها رضي الله عنها.

تعاونٌ على أعباء الحياة:

دخل عليٌّ بفاطمة، ولم يكن الطريق أمامَه مفروشًا بالأزهار والرياحين، بل كان مفروشًا بالأشواك، مُضَرَّجًا بالدماء.

كان عليٌّ رجلًا فقيرًا، لم يَرِثْ عن أبيه صفراء ولا بيضاء، ولا ثاغية ولا راغية[٢]. فكان عليه ـ لأمر دُنياه ـ أنْ يشُقَّ طريقه في الصخر بيدَيْه ليقوتَ نَفْسَه وأهلَه.

وكان عليه لأمر دِينِه أنْ يستعدَّ لجهادٍ دام طويلًا لإرساء دعائم الإسلام ضدَّ مُشْركين محاربين، ويهودَ متربِّصين، ومنافقين مذبذبِين.

وكان على الزهراء أنْ تُقاسم زوجها متاعبَ العَيْش وتكاليفَ الجهاد، ووعْثَاء الطريق، وقد فعلت فأحسنت، وصبرت وصابرت، وكانت له خيرَ عونٍ على واجبات الدِّين ومطالب الدُّنْيا.

---

(١) رواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٠١٦)، والروياني في مسنده (٣٥)، والطبراني (٢٠/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢١٤): رجال الطبراني والبزار رجال الصحيح، غير عبد الكريم بن سليط، ووثقه ابن حبان. عن بريدة بن الحصيب.

(٢) الثاغية: الشاة. والراغية: الناقة.

QaradawiBooks.com

وكان أوَّل ما ينتظر أنْ تقوم به هو عمل البيت، ولم يكن في تلك العصور بالأمر الهيِّن اليسير، فالرغيف الَّذي يأتي اليوم من يد البائع إلى فم الآكل كان يحتاج إعدادُه إلى طَحْن بالرَّحا، وعجن باليد، وخَبْزٍ بالوسائل البدائيَّة حتَّى يَصلح للطعام، ولم يكن في البيت خادمٌ ولا مساعدٌ إلَّا المرأة الفاضلة فاطمة بنت أسدٍ أم عليٍّ، وكم كانت حَيْرتُه رضي الله عنه بين أمٍّ يَحْرِص على بِرِّها وراحتها، وزوجةٍ يرغب في تكريمها وصيانتها، والطاقة لا تُسْعفه، والقدرة لا تُواتيه، بيد أنَّه قسم بينهما العمل تقسيمًا وِدِّيًّا رضي به كلٌّ منهما، فقال لأُمِّه: اكفي بنت رسول الله سِقَايَةَ الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك العملَ في البيت: الطحن، والعجن، والخَبْز[١]...

ولم يُعرف عن فاطمة الزوجة وفاطمة الأمِّ إلَّا التعاون والحبُّ والوئام، على غير ما تجري به العادة بين الزوجات والأحماء.

ولم يدَّخر أبو الحسن وُسْعًا في كسب لُقمة العيش، وولوج كلِّ بابٍ تهُبُّ منه رياحُ الرزق الحلال، حتَّى إنَّه آجر نفسه مرَّة لامرأةٍ من عوالي المدينة[٢]، ومرَّة أخرى لرجلٍ يهودي، ينزع لهما بالدلو: كلُّ دلوٍ بتمرة[٣]!

هذه كانت حياةَ ابنِ عم رسول الله وزوجته بنت رسول الله، هذا يَشقى ويَكْدَح خارجَ البيت، وتلك تتعب وتجهد داخله، فلمَّا أفاء الله على رسوله، وجاءته بعض الأنفال (الغنائم) قال عليٌّ لفاطمةَ: لقد سَنَوْتُ[٤]

(١) رواه الطبراني (٣٥٣/٢٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٣٩٨): رجاله رجال الصحيح.
(٢) رواه أحمد (١١٣٥) وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٤٥٥): رجاله رجال الصحيح إلَّا أن مجاهدًا لم يسمع من علي.
(٣) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٧٣) وقال: حسن غريب. عمَّن سمع عليَّ بن أبي طالب.
(٤) سنوت: استقيت وحملت الماء.

QaradawiBooks.com

حتَّى اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسَبْيٍ فاذهبي فاسأليه خادمًا، فقالت: وأنا والله قد طحنتُ (بالرَّحا) حتَّى مَجلَت[1] يداي!

فأتت النبيَّ ﷺ، فقال: «**ما جاء بكِ يا فاطمة؟**» قالت: جئتُ لأُسلِّم عليك، واستحيتْ أنْ تسأله ورجعت، فقال عليٌّ: ما فعلتِ؟ قالت: استحييتُ أنْ أسأله! فقرَّر أنْ يأتياه جميعًا، فذهبا، فقال عليٌّ: يا رسولَ الله، والله لقد سنوتُ حتَّى اشتكيتُ صدري، وقالت فاطمة: لقد طحنتُ حتَّى مَجَلَتْ يداي، وقد جاءك الله بسبيٍ وسعة فأَخْدِمْنا (أعطنا خادمًا). فماذا كان جواب الأب الرحيم؟ كان جوابه إعلانًا للمساواة، وتكافؤ الفرص للجميع، قال: «**والله لا أعطيكما وأَدَع أهل الصفة تَطْوَى بطونهم، لا أجد ما أُنفق عليهم**»!

ورجعت فاطمة وزوجها يجُرَّان قدمَيْهما جَرًّا، فأتاهما النبيُّ، وقد دخلا في قَطِيفتِهما ـ إذا غطَّت رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطت أقدامهما تكشفت رؤوسهما ـ فنهضا، فقال: «**مكانَكما، ألا أخبرُكما بخيرٍ ممَّا سألتُماني؟**» قالا: بلى: قال: «**كلمات علَّمنيهنَّ جبريل: تسبِّحان الله في دُبُر كلِّ صلاةٍ عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتُكَبِّران عشرًا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبِّرا أربعًا وثلاثين... فهذا خيرٌ لكما من خادم**».

قال عليٌّ: فوالله ما تركتُهنَّ منذ علَّمنِيهنَّ رسولُ اللهِ ﷺ[2].

---

(١) مجلت: أصابتها المجلة، وهي قشرة رقيقة يجتمع فيها ماء من أثر العمل اليدوي.

(٢) رواه أحمد (٨٣٨) وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٩١١): في الصحيح بعضه. رواه أحمد، وفيه عطاء بن السائب، وقد سمع منه حماد بن سلمة قبل اختلاطه، وبقية رجاله ثقات. وأصل الحديث متَّفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١١٣)، ومسلم في الذكر (٢٧٢٧)، عن عليٍّ بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

ماذا صنع لهما النبيُّ الكريم إلَّا أن زاد عليهما واجبًا جديدًا؟ وأضاف إلى عملهما المادِّيِّ عملًا رُوحيًّا آخر؟! لكن العارفين يعلمون أنَّ انشغال المرء بالأهداف الرُّوحيَّة يُنسيه المتاعب المادِّيَّة والجِسميَّة، فيحيا في الدُّنيا بقلوب أهل الآخرة. ويعيش في الأرض، وكأنَّه من أهل السماء، ومن ثَمَّ كان النبيُّ ﷺ يُواصلُ الصيامَ ويقول: «**وأيُّكم مثلي؟ إنِّي أبيتُ يُطْعِمُني ربِّي ويَسْقِيني**»[(١)]!

وقد كان يَحْدُث أحيانًا بين فاطمةَ وعليٍّ ما يحدث بين كلِّ زوجين من ملاحاة أو مغاضبة، فيبلغ الأمر إلى رسول الله، فما هي إلَّا كلمة أو ابتسامة حتَّى تنطفئ شرارةُ الغضب، وتُفْقَأُ عينُ الشيطان، لم يجعل من نفسه مُحَامِيًا للابنة ومُمَثِّل الاتِّهام للزوج، وإنَّما كان بينهما قاضيًا عدلًا، بل طبيبًا حكيمًا.

روى الشيخان أنَّ النبيَّ ﷺ جاء بيتَ فاطمة، فلم يجد عليًّا في البيت، فقال لها: أين ابنُ عمِّكِ؟ قالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني، فخرج ولم يَقِلْ عندي. فقال رسولُ الله لإنسانٍ: انظرْ أين هو؟ فقال: يا رسولَ الله، هو بالمسجد راقد. فجاءه رسولُ الله وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شِقِّه وأصابه تراب، فجعل رسولُ الله ﷺ يمسحه ويقول: «**قمْ أبا تُرابٍ، قم أبا تُرَابٍ**»[(٢)]!

وعاد «أبو تراب» إلى بيته وزوجه، وقد تَقَشَّع عنه الغضبُ كما يتقشَّع سَحابُ الصَّيْف، وعاد إلى سماءِ الزوجيَّة الصحْوُ والصفاء.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٤١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٩)، عن سهل بن سعد.

QaradawiBooks.com

وروى ابنُ سعدٍ قال: كان بين عليٍّ وفاطمة كلامٌ، فدخل رسولُ الله ﷺ، فلم يزل حتَّى أصلح بينهما ثمَّ خرج، فقيل له: دخلتَ وأنتَ على حالٍ، وخرجت ونحن نرى البِشْرَ في وَجْهِكَ؟ فقال: «**وما يَمْنَعُني وقد أصلحتُ بين أحبِّ اثنين إليَّ؟**»[1].

لقد عاشت فاطمة حياتها مع عليٍّ مثال الزوجة المخلصة الحليمة ـ مع ما في عليٍّ من شدَّة وخُشونة ـ الصابرة الراضية، برغم إعسار زوجها وضيقِ ذاتِ يَدِه، وقد عرف عليٌّ لها فَضْلَها، وقدَّرَ لها جُهْدَها في الحياة الزوجيَّة، وظلَّ يذكر ذلك طيلة حياتِه، قال مرَّة لابن أَعْبُد: يا ابن أَعْبُد، ألا أخبرك عَنِّي وعن فاطمة؟ كانت ابنةُ رسول الله وأكرمُ أهله عليه وكانت زوجتي، فطحنت بالرَّحا حتَّى أثَّر الرَّحا بيدَيْها، واستقت بالقِرْبة حتَّى أثَّرت القِرْبَة بنَحْرِها، وقمَّت البيت (نظَّفته) حتَّى اغبرَّت ثيابُها، وأوقدت تحت القِدْر حتَّى دَنِسَتْ ثيابُها، وأصابها من ذلك ضُرٌّ...[2].

مكان فاطمةَ من رسول الله:

كانت فاطمة أصغرَ بنات النبيِّ ﷺ وأعزَّهنَّ عليه، وأحبَّهن إليه، وكانت أشبه النَّاس به في خَلق وخُلق، وكانت هي آخرَ من بَقِيَ من أولاده جميعًا، فلا عجب أنْ يغمرها النبيُّ ﷺ بحبِّه، ويُؤثِرها بمزيدِ حنانِه وقُربه، وقد ذكرت ذلك أمُّ المؤمنين عائشةُ فقالت: ما رأيتُ أحدًا أشبهَ سَمْتًا ودَلًّا وهَدْيًا برسولِ الله ﷺ في قيامِه وقعودِه من فاطمةَ بنت رسولِ الله. قالت: وكانت إذا دخلت على النبيِّ ﷺ قام إليها فقبَّلها،

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٢٦/٨).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٣١٣) وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف.

QaradawiBooks.com

وأجلسها مَجْلِسَه، وكان النبيُّ إذا دخل عليها قامت إليه فقبَّلته، وأجلستْه في مَجْلِسها[١].

وقد برزت هذه العاطفةُ الأبويَّة الدافقة في أجلى صُوَرِها حين استأذنه بنو هشام بن المُغَيْرة أن يُزَوِّجوا عليَّ بنَ أبي طالبٍ ابنةَ أبي جهل، فأبى عليهم، ووقف على المنبر يقول: «**إنَّ بني هِشَــام بن المُغِيرة استأذنوني في أن يُزَوِّجوا ابنتَهم عليَّ بن أبي طالب فلا آذَنُ، ثمَّ لا آذَنُ، ثمَّ لا آذَنُ، إلَّا أن يريد ابنُ أبي طالب أنْ يُطَلِّق ابنتي، ويَنْكِحَ ابنتَهم، فإنَّما فاطمةُ بَضْعةٌ مِنِّي، يَرِيبُني ما رابها، ويُؤذِيني ما آذاها، إنِّي أخافُ أنْ تُفْتَنَ فاطمةُ في دِينِها، وإنِّي لا أُحَرِّم حلالًا، ولا أُحِــلُّ حرامًا، ولكن واللهِ لا يجتمعُ بنتُ رسولِ الله وبنتُ عدوِّ اللهِ في بيتٍ واحدٍ أبدًا**»[٢].

لكن هذه العاطفة الحارَّة سرعان ما تنكمش وتنطفئ إذا كانت بإزاء حدٍّ من حدود الله، ولقد كان عليه السلام حين يريد أنْ يُقَرِّر للنَّاس أنَّ أحكام الله وسُنَنَه في الدُّنيا والآخرة لا تُحابي أحدًا مهما يكنْ شأنُه ومنزلته يضربُ المَثَلَ بأعزِّ النَّاس عليه: فاطمة.

فيقول في شــؤون الدنيا: «**وايمُ الله، لو ســرقت فاطمةُ بنت محمَّد لقطعتُ يَدَها**»[٣].

---

(١) رواه أبو داود فــي الأدب (٥٢١٧)، والترمذي في المناقب (٣٨٧٢) وقال: حســن صحيح. والحاكم في معرفة الصحابة (١٥٤/٣) وصحَّحه على شــرط الشيخين، ووافقه الذهبي. عن عائشة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١١٠) وفي النكاح (٥٢٣٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٩)، عن المسور بن مخرمة.

(٣) متَّفق عليــه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٥)، ومســلم في الحدود (١٦٨٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ويقول في شؤون الآخرة: «**يا فاطمة بنت محمَّد، اعمَلِي فإنِّي لا أُغْنِي عنكِ من الله شيئًا**»(١)، «**من بطَّأ به عملُه لم يُسْرِع به نَسَبُه**»(٢).

واكربَ أبتاه:

إنَّ الحياة الرضيَّة الهنيَّة لا تصنع نفوسًا كبيرة، إنَّما تتخرَّج النفوسُ الكبيرة في مدرسة الآلام، وتُصْنَعُ القلوب العظيمة في مَصْهَرِ الأحزان، وقد شاء الله أنْ يصهر قلبَ فاطمة في أَتُونِ الابتلاء، ويُنْضِجَه بحرارة الحزن والأسى، فقد فُجِعَتْ في أُمِّها وهي فتاةٌ صغيرة، وكوتها مشاعر الحزنِ على وفاةِ إخوتها وأخواتها جميعًا ذكورًا وإناثًا، وزادها ألمًا على ألم فقدُها لأبيها وحبيبِها الأعظمِ محمَّدٍ رسول الله.

شَهِدت مرضَه الأخير، وكانت تذهب كلَّ يومٍ لعيادته، فيقوم إليها ويُقَبِّلها كعادته في العافية، فلمَّا اشتدَّت عليه وطأة المرض، خشي عليها هولَ الفجيعةِ بموته، فزفَّ إليها بُشرى تهون من وقع المصاب عليها. قالت عائشة: أقبلت فاطمةُ تمشي كأنَّ مِشيتَها مَشْيُ النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «**مرحبًا بابنتي**» ثمَّ أجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثمَّ أسرَّ إليها حديثًا فبكت، فقلت لها: لِمَ تَبْكِين؟ ثمَّ أسرَّ إليها حديثًا فضحكت، فقلتُ: ما رأيتُ كاليوم فرحًا أقربَ من حزنٍ، فسألتُها عمَّا قال. فقالت: ما كنتُ لأُفشيَ سِرَّ رسولِ الله ﷺ، حتَّى قُبِضَ النبيُّ ﷺ، فسألتُها، فقالت: أسرَّ إليَّ: «**إنَّ جبريل كان يعارضني القرآن كلَّ سنة مرَّة، وإنَّه عارضني العام مرَّتَيْن، ولا أراه إلَّا حضر أجلي، وإنَّك أوَّل أهل بيتي لحاقًا بي**». فبكيتُ، فقال:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٥٣)، ومسلم في الإيمان (٢٠٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الذكر (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

«**أما تَرْضَيْنَ أنْ تكوني سيَّدة نســاءِ أهلِ الجنَّة، أو نساء المؤمنين**». فضحكتُ لذلك[١].

وكانت حُمَّى المرضِ تشــتدُّ أحيانًا على رسول الله حتَّى يُغْشى عليه ثمَّ يُفِيقُ وهو يعاني أشــدَّ الكرب، وترى ذلك فاطمة، فينتقل الألم من جســد أبيها إلى نِيَاط قلبها، فيَحُزُّ فيه حَزًّا، وتصيح قائلةً: واكربَ أبتاهْ! ويسمعها النبيُّ فيردُّ عليها ويقول: «**لا كربَ على أبيكِ بعدَ اليوم**»[٢].

يريد أنَّه ســينتقل من هذه الدُّنيا الَّتي تَغُصُّ بالشقاء والآلام إلى دارٍ لا شقاء فيها ولا آلام.

ولحق النبيُّ بالرفيق الأعلى مُخَلِّفًا ابنتَه الحزينةَ في نحو الثلاثين من عُمرها.

وما هي إلَّا أشهر ستَّة حتَّى صدقت نبوءته عليه السلام، وكانت فاطمة أوَّل أهله لحوقًا بــه. ففي ليلة الثلاثاء لثلاثٍ خَلَوْن من رمضان ســنة إحدى عشرة من الهجرة تلقَّت الســماء تلك الرُّوح الزَّكِيَّة، ودُفِنَ ذلك الجسدُ الطاهر في أرض البقيع المباركة، ودُفِنَتْ ليلًا كما أوصت، تاركة وراءها ذِكْرًا حســنًا في الآخرين، ومثلًا صالحًا للمؤمنات، وذريَّة طيِّبة موصولة بنســب الرســول الكريم، رضي الله عنهــا، وجزاها خيــرَ ما يجزي به الصِّدِّيقات.

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٢٣، ٣٦٢٤)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٥٠).
(٢) رواه البخاري في المغازي (٤٤٦٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

أسماء ذاتُ النِّطاقَيْن

نسبها وإسلامها:

هي أسماء ابنة أبي بكرٍ الصِّدِّيق، وأخت عائشة أمِّ المؤمنين لأبيها، وزوج الزُّبَيْر بن العوَّام، حَوَارِيِّ رسولِ الله وابنِ عمَّتِه، وأمُّ الفارس المِغْوار الخليفةِ عبدِ الله بنِ الزُّبَيْر.

أسلمتْ مع السابقين الأوَّلِينَ، وكان ترتيبها في الإسلام «الثامنَ عَشَرَ»، وظلَّت في مكَّة تشارك المسلمين لَأْوَاء الدَّعْوة، ومرارةَ الأذى في سبيل الله، حتَّى كانت الهجرة إلى المدينة، فكان لها ثلاثة مواقف سجَّلها لها تاريخ السِّيرة النبويَّة بفخارٍ وإعزاز.

حدَّثت عن أوَّلِها، قالت: صنعتُ سُفْرةً للنبيِّ ﷺ حين أراد أنْ يُهاجر إلى المدينةِ، فلم نجد لسُفْرَته ولا لسِقَائِه ما نربِطُهما به، فقلتُ لأبي بكرٍ: ما أجدُ إلَّا نِطَاقي، قال: شُقِّيه باثنين، فاربطي بواحدٍ منهما السِّقاء، وبالآخَرِ السُّفرة[1].

ورُوِيَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال لها حين فعلت ذلك: «**أبدلكِ الله بنِطَاقِكِ هذا نِطَاقَيْن في الجنَّة**»، فقيل لها: ذاتُ النِّطَاقَيْن[2].

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٧٩).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١٧٨٢/٤)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

وحدَّثت عن الثاني فقالت: لما خرج رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ رضي الله عنه، أتانا نفرٌ من قريشٍ فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر؟ فخرجتُ إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنتَ أبي بكر؟ قُلْتُ: لا أدري والله أين أبي. فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشًا خبيثًا ـ فلطم خدِّي لطمةً طرح منها قُرْطي[1].

وحدَّثت عن الموقف الثالث، فقالت: لمَّا خرج رســولُ الله ﷺ إلى الهجرة، وخرج أبو بكرٍ معه، احتمل أبو بكر مالَه كلَّه معه، خمسة آلاف درهم أو ســتَّة آلاف. قالت: فدخل علينا جَــدِّي أبو قحافة، وقد ذهب بَصَرُه، فقال: والله إنِّي لأُراه قد فجعكم بماله مع نفسه. قلت: كلَّا يا أبتِ، قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، فأخذت أحجارًا، فوضعتُهــا في كُوَّة البيت الَّتي كان أبي يضع مالَه فيها، ثــمَّ وضعت عليه ثوبًا، ثمَّ أخــذتُ بيد جَدِّي فقلت: يا أبتِ، ضعْ يدَك على هذا المال. فوضع يَدَه عليه فقال: لا بأسَ، إذا كان ترك لكم هذا فقد أَحْسَنَ، وفي هذا بلاغٌ لكم.

قالت أسماء: لا والله ما ترك لنا شيئًا، ولكنَّني أردتُ أنْ أُسَكِّنَ الشيخَ بذلك[2].

هذه هي أسماء المسلمة، ليست امرأةً فارغة، همُّها زينتُها، وإنَّما هي مؤمنةٌ همُّها رســالتُها، فلا عجبَ أنْ تكتُمَ السِّــرَّ في شجاعة، وتستقبل أبا جهلٍ وأصحابَه في قوَّة، وتشــوقُّ نطاقها وهي راضيــة، وتتحمَّل لطمَ خَدِّها وهي صابرة، وتُحْسِــنُ الحيلة لإرضاء جدِّها، وهي ســعيدة بما تصنع من أجل دينها ورسالتها.

(١) السيرة النبويَّة لابن هشام (٤٨٧/١).

(٢) رواه أحمد (٢٦٩٥٧) وقال مخرِّجوه: إسناده حســن. والطبراني (٨٨/٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٩١٣): رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرَّح بالسماع.

QaradawiBooks.com

أسماء الزوجة:

تزوَّجت أسماءُ الزُّبَيْر قبل الهجرة، وكلاهما مسلمٌ، خالطت بشاشة الإيمان قلبَه، وامتزج الإسلام بلَحْمِه ودَمِه، فكانا مثال الزَّوْجين المتوافقين ضمَّهما هدفٌ واحد، وطريقةٌ واحدة، تحت لواءٍ واحد، هاجر إلى المدينة، فهاجرت، وجاهد، فشدَّت أزْرَه، وصبرت في ضرَّائه، وشكرت في سرَّائه.

لم يَمْنَعْها مكانُ أبيها، ولا شرفُ قومِها، أنْ تقف إلى جنبه في أيام الشدَّة والفقر، تعمل وتكدح، وتعمر عش الزوجيَّة بكدِّ اليَمِين، وعَرَقِ الجبين.

قالت أسماء: تزوَّجني الزُّبَيْر وما له في الأرض مالٌ، ولا مملوكٌ، ولا شيءٌ غير فَرَسِه، فكنت أخدمه خدمةَ البَيْت كُلِّه، وأعلف فَرَسَه، وأسوسُه وأكفيه مَؤونَتَه، وأحش له، وأقوم عليه، وأدُقُّ النوى لنَاضِحِه (بعيره)، وكنتُ أنقل النوى على رأسي من أرض الزُّبَيْر، على ثلثي فرسخ، وكنت أَعْجِنُ وأسقي الماء، وأخْرِزُ الدَّلْوَ[1].

ولم تَطُلِ المُدَّة حتَّى انتشرت دعوة الإسلام، وفاض الخير على المسلمين، وكان للزُّبَيْر فيما له ألفُ مملوكٍ يؤدُّون إليه الخَرَاج، وتمَّت كلمةُ ربِّك على المؤمنين بما صبروا، وصدق الله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٨٢).

QaradawiBooks.com

أسماء الأمُّ:

ظلَّ المسلمون مدَّة بعد الهجرة لا يُولَدُ لهم ولد، وأشاع اليهودُ أنَّهم سَحَروهم فلن يُنْجِبوا، حتَّى كَذَّبهم القدر، فولدت أسماءُ ابنَها «عبد الله»، فكان أوَّلَ مولودٍ في المدينة، فاستبشـــر المسلمون وكبَّروا، وولدت بعد ذلك «عُرْوة» و«المنذر»، وما منهم إلَّا عالم أو فارس، على أنَّ موقفها مع ابنها عبد الله هو الَّذي جعل التاريخ يُصْغي لها سَمْعَه، ويكتبها في سِجِلِّ الأُمَّهات الخالدات.

بعد وفاة يزيد بن معاوية بُويِعَ لعبدِ الله بنِ الزُّبَيْر بالخلافة في معظم بلاد الإســـلام: في الحجاز، واليمن، والعراق، وخُرَاســـان، وظلَّ تِسْـــعَ سنوات يُنَادى بأمير المؤمنين، حتَّى شاءت الأقدار ـ لحظِّ بني أُمَيَّة ـ أنْ تزول الخلافة من أرض الحجاز.

جاء الحجَّاج بجُنْد الشام، فحاصر ابن الزُّبَيْر في مكَّة، وطال المَدَى، واشتدَّ الحِصار، وتفرَّق عنه أكثرُ من كان معه، فدخل عبدُ الله على أُمِّه قبل قَتْلِه بعشرةِ أيَّام، فقال لها: إنَّ في الموت لراحةً. قالت: لعلَّكَ تمنَّيْتَه لي؟

ما أحبُّ أن أموتَ حتَّى يأتي عليك أحدُ طَرَفَيْك: إمَّا قُتِلْتَ فأحتسبُك، وإمَّا ظَفِرْتَ فتُقِرُّ عَيْني. فلمَّا كان اليومُ الَّـــذي قُتِلَ فيه، دخل عليها حين رأى من النَّاس ما رأى من خُذْلَانه، فقال لها: يا أُمَّاه، خذلني النَّاس، حتَّى ولداي وأهلي، فلم يبقَ معي إلَّا اليســـير ممَّن ليس عنده من الدفع لأكثر من صبرِ ساعةٍ، والقومُ يُعْطُونَني ما أردتُ من الدُّنْيا، فماذا تَرَيْن؟

وهنا أمســـك التاريخُ بقلمه ليكتبَ موقـــفَ الأمِّ الصَّبُور من ابنِها وفِلْذَةِ كَبِدِها، في لحظةٍ حاســـمةٍ من لحظات الخُلُود، الأمُّ الَّتي شاب

QaradawiBooks.com

رأسُها ولم يَشِبْ قَلْبُها، وشاخ جسدُها ولم يَشِخْ إيمانُها، وانحنى ظهرُها، ولكنَّ عقلَها ظلَّ مستقيمًا مُسَدَّدًا، قالت أسماءُ: أنت والله يا بُنَيَّ أعلمُ بنَفْسِك، إنْ كنتَ تعلمُ أنَّكَ على حقٍّ، وإليه تدعو، فامضِ له، فقد قُتِلَ عليه أصحابُكَ، ولا تُمَكِّنْ من رَقَبَتِكَ غلمانَ بَنِي أُمَيَّة يلعبون بها، وإن كنت إنَّما أردتَ الدُّنيا فبئس العبدُ أنت، أهلكتَ نَفْسَكَ، وأهلكت مَنْ قُتِلَ مَعَك، وإن قلتَ: كنتُ فلمَّا وَهَنَ أصحابي ضعُفْتُ، فهذا ليس فِعْلَ الأحرار، ولا أهلَ الدِّين، وكم خلودُكَ في الدنيا؟! القتلُ أحسن.

قلتُ: إنِّي أخاف أن يُمَثِّلَ بي أهل الشام.

قالت: إنَّ الكَبْشَ لا يُؤْلِمُه سَلْخُه بعد ذَبْحِه.

فدنا ابن الزُّبَيْر فقبَّل رأسها وقال: هذا والله رأيي، والَّذي قمتُ به داعيًا إلى يومي هذا، ما ركنتُ إلى الدُّنْيا، ولا أحببتُ الحياةَ فيها، وما دعاني على الخروج إلَّا الغضبُ لله أن تُسْتَحَلَّ حُرَمُه، ولكنِّي أحببتُ أنْ أعلم رَأْيَكِ، فزِدْتِني بصيرةً مع بصيرتي، فانظري يا أُمَّاه، فإنِّي مقتولٌ من يومي هذا، فلا يشتدُّ حُزْنُكِ وسَلِّمي لأمر الله.

قالت: إنِّي لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنًا.

قال: جزاك الله خيرًا، فلا تَدَعي الدعاءَ لي قبلُ وبعدُ.

قالت: لا أَدَعُهُ أبدًا، فمن قُتِلَ على باطلٍ فقد قُتِلْتَ على حقٍّ. ثمَّ قالت: اللهمَّ ارحمْ طُولَ ذلك القيامِ في الليل الطويل، وذلك الظمأ في هواجر المدينة ومكَّة، وبرَّه بأبيه وبي، اللهمَّ قد سَلَّمْتُه لأمرِكَ فيه، ورضيتُ بما قضيتَ، فأثِبْني في عبد الله ثوابَ الصابرين الشاكرين،

QaradawiBooks.com

وذهب عبدُ الله فقاتلَ الساعات الأخيرةِ قِتَالَ الأبطال، وهو يتمثَّل صورةَ أُمِّه في عينَيْه، وصوتها في أُذُنَيْه، مرتجزًا منشدًا:

أسماءُ يا أســماءُ، لا تبكيني لم يبقَ إلَّا حَسَــبي ودِينِي[1]

وصــارمٌ لانــت بــه يميني

وما زال على ثباته حتَّى قُتِلَ، فكبَّر أهل الشام لمَقْتَلِه، فبلغ ذلك ابن عمر فقال: الَّذين كبَّروا لمولده خيرٌ من الَّذين كبَّروا لموته[2].

مع الحجَّاج:

صلب الحجَّاجُ عبد الله بن الزُّبَيْر مبالغة في التشــفِّي والإرهاب، ثمَّ أرســل إلى أُمِّه أســماءَ فأبت أن تأتيَه، فأعاد إليها الرســولَ: لَتَأْتِيَنِّي أو لأبعثنَّ إليكِ من يسحبُكِ بقُرونِكِ. فأبت وقالت: واللهِ لا آتيه حتَّى يبعثَ إليَّ من يَسْحَبُني بقُرُوني.

فمــا كان من الحجَّــاج إلَّا أن أذعن لصلابتهــا، وانطلق حتَّى دخل عليها، فقال: أرأيتِ كيف نصرَ اللهُ الحقَّ وأظهره؟

قالت: ربَّما أُدِيلَ الباطلُ على الحقِّ وأهله.

قال: كيف رأيتِني صنعتُ بعدوِّ الله.

قالت: أراكَ أفسدتَ على ابني دُنْياه، وأفسد عليكَ آخِرَتَكَ.

قال: إنَّ ابنَكِ ألحد في هذا البيت، وقد قال الله: ﴿**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الحج: ٢٥]، وقد أذاقه اللهُ ذاك العذاب الأليم.

---

(١) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٣/٩٠٧ ـ ٩٠٩).

(٢) انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه (٥/١٦٧، ١٦٨)، نشــر دار الكتــب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

قالت: كذبتَ، كان أوَّل مولود ولد في الإسلام بالمدينة، وسُرَّ به رسولُ الله وحنَّكه بيده، وكبَّر المسلمون يومئذٍ حتَّى ارتجَّت المدينةُ فرحًا به، وكان برًّا بأبويه، صوَّامًا، قوَّامًا بكتاب الله، مُعَظِّمًا لحُرَمِ الله، مُبْغِضًا لمن يعصي الله ـ أما إنَّ رسولَ الله حدَّثني أنَّ في ثَقِيفٍ كذَّابًا ومُبِيرًا (أي سفاحًا قتالًا)، فأمَّا الكذَّاب فقد رأيناه (تعني المختار بن عُبَيْدٍ الثَّقَفي)، وأمَّا المُبِيرُ فلا إخالكَ إلَّا إيَّاه[1].

فخرج الحجَّاج من عندها مُنْكَسِرًا يتمنَّى لو لم يكُنْ لَقِيَها بعد أنْ دخل عليها مَزْهُوًّا يريد أنْ يتشفَّى.

هذه أسماء العجوز في سنِّ المائة، وهذا هو الحجَّاج الجبَّار في أوج انتصاره، وعُنْفُوان طغيانه، إنَّ الإيمان في قلبها جعله في عينها يتضاءل حتَّى صار شيئًا صغيرًا كالهَبَاء، وجعلها في عَيْنِه تمتدُّ وتستطيل حتَّى صارت شيئًا كبيرًا كالمارد العملاق.

وبلغ عبدُ الملك بن مروان ما صنع الحجَّاج مع أسماء، فكتب إليه يستنكر فِعْلَه، ويقول: ما لك ولابنةِ الرَّجُلِ الصالح؟ وأوصاه بها خيرًا، ودخل عليها الحجَّاج فقال: يا أُمَّاه، إنَّ أمير المؤمنين أوصاني بكِ، فهل لكِ من حاجة؟

قالت: لستُ لك بأمٍّ، إنَّما أنا أمُّ المصلوب على الثنيَّة، وما لي من حاجة.

وأخيرًا، آن للفارسِ المصلوب أنْ يترجَّل، وينزل من فوق خشبته، ويُسَلَّم إلى أُمِّه فتُحَنِّطُه وتُكَفِّنه وتُصَلِّي عليه وتُودِعُه جوفَ الثَّرى ليلتقي

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٤٥). وانظر: البداية والنهاية (٢١١/١٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فــي دار الخلود بأبيــه الزُّبَيْر وجدِّه أبي بكــر، وجَدَّتِه صفيَّــة، وخالته عائشة رضي الله عنهم[١].

وهكذا اســتقبلت المصيبة الكبيرة بنفْسٍ أكبر، وإيمانٍ أقوى، دخل عليها عبد الله بن عمر، وابنها مصلوب، فقال لها: إنَّ هذا الجســد ليس بشيءٍ، وإنَّما الأرواح عند الله، فاتَّقِي اللهَ واصبري.

فقالت: وما يمنعني من الصبر، وقد أُهْدِيَ رأسُ يحيى بن زكريا إلى بَغِيٍّ من بغايا بني إسرائيل[٢]؟!

ولم يطُلْ بها المُقام بعد ولدها، فما هي إلَّا مائة يوم ـ أو أقلُّ ـ حتَّى لحقت به عام ٧٣ من الهجرة، وقد بلغت مائة عامٍ لم يســقط لها ســنٌّ، ولم يُنكَر لها عقلٌ رحمهما الله ورضي عنهما[٣].

* * *

(١) انظر: البداية والنهاية (١٨١/١٢).

(٢) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي (١٤٠/٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٣) انظر: البداية والنهاية (٢٢٤/١٢).

QaradawiBooks.com

أمُّ سُلَيْم الرُّمَيْصاء

«دخلتُ الجنَّة، فسمعتُ خَشَفَةً بين يَدَيَّ، فإذا أنا بالرُّمَيْصاء، زوج أبي طلحة»[١].

بيتُها ونسبها:

أنصاريَّة، خزرجيَّة، نجَّاريَّة، اختلفوا في اسمها، ولكنَّها اشتهرت بالرُّمَيْصاء، وعُرِفَتْ بكُنْيَتِها أمِّ سُلَيْم بنت مِلْحَانَ النجَّاري، لها برسولِ الله ﷺ ـ بعد صلة الإسلام ـ صلة القرابة، فقد كان بنو النجَّار أخوال أبيه. وهي غصن ناضر من شجرة طيِّبة المنبت، نامية الفروع، مباركة الثمار، فأخوها حرامُ بن ملحان أحد القُرَّاء السبعين الَّذين غدر بهم المشركون في بئر مَعُونة، وهو الَّذي وقف يُناديهم: إنِّي رسولُ رسولِ الله إليكم. فأتاه آتٍ من خلفه وطعنه طعنةً فاجرة، فلما أحسَّ حرارةَ السِّنَان في جسده قال قولتَه المؤمنة: فُزْتُ وربِّ الكعبة[٢].

وأختها أمُّ حرام بنت ملحان، زوج عُبَادة بن الصامت، الَّتي أخبرها الرسول عليه السلام أنَّ من أُمَّته أناسًا يركبون البحر مجاهدين في سبيل الله

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٧٩)، عن جابر بن عبد الله.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠١)، ومسلم في الإمارة (٧٦٦)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

كالملوك على الأسِــرَّة، فقالــت: ادعُ الله أن يجعلني منهــم فقال: «**أنتِ منهم**»، وحقَّق الله نبوءةَ رسولِه، واستشــهدت في غزوة بَحَرِيَّة إلى بلاد الروم، زمن معاوية، وكانت في صُحْبَةِ زوجها[1].

فهم أهل بيتٍ، تشابهت في الخير قلوبهم، ذُرِّيَّة بعضُها من بعض.

الزوجة:

تزوَّجت أمُّ سليم في الجاهليَّة مالك بن النَّضْر النجَّاري، فولدت منه أنسًا، فلما جاء الله بالإســلام، أسلمت مع السابقين إليه من الأنصار، ثمَّ قامت بواجبها كمؤمنةٍ تبتغي نشرَ دعوتِها، وكزوجةٍ تحبُّ الخير لزوجها، فعرضت عليه الإسلام، فأخذته حَمِيَّة الجاهليَّة، وغضب عليها، وما لبث أنْ تركها، وفرَّ إلى الشام، فهلك هناك.

وكانت أمُّ سُــلَيْم تقــول: لا أتــزوَّج حتَّى يبلغَ أنــس، ويجلس في المجالس. وهذا ما جعل أنسًــا يقول بعد: جزى الله أُمِّي عَنِّي خيرًا، لقد أحسنت ولايتي.

ثم تقدَّم لهــا أبو طلحة يَخْطُبُها، وهو يومئذٍ مشــرك، وقال لها: لقد جلس أنسٌ وتكلَّــم، فقالت لــه: يا أبا طلحــة، أمَا إنِّي فيــك لراغبةٌ، وما مثلُكَ يُــرَدُّ، ولكنَّكَ رجلٌ كافر، وأنا امرأةٌ مســلمة، لا يجوز لي أنْ أتزوَّجك. قال في استغرابٍ: ماذا دهاك يا رُمَيْصَاء؟ أين أنت من الصفراء والبيضاء؟! (يريد الذهب والفضَّة).

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٨٨)، ومسلم في الإمارة (١٩١٢)، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

قالت في ثقةٍ ويقينٍ: لا أريد صفراءَ ولا بيضاءَ، فأنت امرؤٌ تعبدُ ما لا يسمعُ ولا يُبْصِرُ، ولا يُغني عنك شيئًا.

أما تستحي ـ يا أبا طلحة ـ أنْ تعبد خشبةً من الأرض، نَجَرَها لك حَبَشِيُّ بني فلان؟! إن أسلمتَ فذلك مهري، لا أريدُ من الصَّدَاق غَيْرَه.

بهذه الكلمات النابضة بالقوَّة والإيمان، اهتزَّت موازين أبي طلحة القديمة، وتغيَّرت وِجْهَتُه، فلم يجد سبيلًا إلَّا أن يقول: من لي بالإسلام يا رُمَيْصاء؟!

قالت: لك بذلك رسولُ الله ﷺ، فاذهبْ إليه. فانطلق أبو طلحة يريد الرسولَ، وكان جالسًا بين أصحابه، فلما رآه قال: «**جاءكم أبو طَلْحَةَ وغُرَّةُ الإسلام بين عينَيْه**». وأسلم أبو طلحة أمام النبيِّ ﷺ، وأخبره بما قالت الرُّمَيْصاء، فزوَّجه إيَّاها على ما شرطت[1].

إنَّ الشأن في المرأة أنْ تتباهى بعِظَم مَهْرِها، وما بُذِلَ لها من دِرْهَمٍ ودينار، لكن أُمَّ سُلَيْم وضعت تقليدًا جديدًا، فأصبحت القرون من بعدها تُبَاهي بها، وبعَظَمَةِ موقفها.

قال ثابتٌ البُناني بعد أن روى حديثَ زواجِها: فما بلغنا أنَّ مهرًا كان أعظم منه، أنَّها رضيت الإسلام مهرًا[2]!

عاشت أُمُّ سُلَيْم مع أبي طلحة زوجة وفيَّة ودودًا تسرُّه إذا نظر، وتُطِيعُه إذا أمر، وتحفظه إذا غاب، وزاد سعادتهما أن رُزِقَا بغُلَامٍ صبيح

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٠/٢)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٢) رواه الطيالسي (٢١٦٨)، وأبو نعيم في الحلية (٥٩/٢)، والبيهقي في الجنائز (٦٥/٤).

QaradawiBooks.com

أحبَّه أبو طلحة حبًّا شديدًا وكَنَّوْه «أبا عُمَيْر»، وكان النبيُّ ﷺ يمازحه إذا زار أمَّ سُلَيْم، وقد دخل عندها يومًا فوجده حزينًا؟ فقال النبيُّ: «**ما لأبي عُمَيْرٍ حزينًا؟**». فقالت: يا رسولَ الله، مات نُغَيْره الَّذي كان يلعبُ به. (النُّغَيْر طائر كالعصفور أحمر المنقار)، فجعل النبيُّ يقول له مازحًا: «**أبا عُمَيْر، ما فعل النُّغَيْر**»[1]!

وشاء الله أنْ يمتحن الزوجين السعيدين في زينة عُشِّهما، وثمرة حُبِّهما، وفِلْذة كَبِدَيْهما، لتترك أمُّ سليم للتاريخ مأثرةً أخرى للمرأة المسلمة في سجلِّ الخلود، فقد مرض الغلام، وألحَّ عليه المرض، وشُغِلَ به أبوه، وحزن عليه أشدَّ الحزن، وكان يغدو ويروح على رسول الله، فإذا عاد سأل عن الغلام. وفي إحدى رَوْحاته إلى النبيِّ اختطف المنون الغلامَ الصَّبِيح المَلِيحَ، فماذا صنعت الأمُّ وقد فقدت ولدَها وقُرَّة عَيْنِها؟

إنَّنا نرى بعض النساء يُكَدِّرن الأزواج والبيوت بدون مُكَدِّر، وبعضهنَّ يجعلْنَ من الحادث الصغير مصيبةً كبرى، تُشَقُّ عليها الجيوب وتُلْطَمُ الخدود، بَيْدَ أنَّ أمَّ سُلَيْم كانت طِرازًا ممتازًا من بنات حوَّاء.

لقد هيَّأت أمرَ الصبيِّ، فغسَّلته وكفَّنته وحنَّطَتْه وسَجَّت عليه ثوبًا، ثمَّ أرسلت أنسًا يدعو أبا طلحة، وأَمَرَتْه ألَّا يُخْبِرَه بوفاة ابنه، حتَّى تكون هي أوَّل من تخبره. وجاء أبو طلحة، وسأل: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نَفْسُه، وأرجو أنْ يكون قد استراح.

---

(١) رواه أحمد (١٢٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات (٧٨٧)، عن أنس بن مالك. وأصل الحديث متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٢٠٣)، ومسلم في الآداب (٢١٥٠).

QaradawiBooks.com

وظنَّ الزوج الأبُ أنَّه قد عوفي، وكان صائمًا، فقدَّمت له إفطاره فأفطر، وأقبل الليل، فتزيَّنت وتطيَّبت، ثمَّ تعرَّضت له، فأصاب منها، وقضى وَطَرَه، فلمَّا أصبح اغتسل، وأراد أنْ يخرج، فقالت: يا أبا طلحة، أرأيتَ لو أنَّ قومًا أعاروا أهلَ بيتٍ عاريَّة، فطلبوا عاريَّتَهم، ألَهُمْ أنْ يمنعوهم؟ قال: ليس لهم ذلك، إنَّ العاريَّة مؤدَّاة إلى أهلها. فلما انتزعت منه هذا الجواب قالت: إنَّ الله أعارنا ابنَنا فلانًا ثمَّ أخذه مِنَّا، فاحتسِبْه عند الله.

قال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، تركتِني حتَّى تلطَّخْتُ ثمَّ أخبرتِني بابني؟!

وذهب إلى النبيِّ ﷺ، فصلَّى معه وأخبره بما كان منهما، فقال النبيُّ ﷺ: «**لعلَّ اللهَ أنْ يُبارِكَ لكما في ليلتِكما**»[1].

وصَعِدَ الدعاءُ المحمَّدي، فتفتحت له أبوابُ السماء، فوُلِدَ لهما من تلك الليلةِ عبدُ الله بن أبي طلحة ـ والد إسحاق بن عبد الله الفقيه التابعي الجليل ـ وإخوته، وقد كانوا تسعةً، كلُّهم حُمِلَ عنه العلمُ وخَتَمَ القرآن.

الأمُّ:

رأينا في القصَّة السالفة نموذجًا للأمِّ حين تفقد ولدها ويبقى زوجُها.

ولقد فارقها مالكُ بن النَّضر، وترك لها أَنَسًا غلامًا، فأبت أمُّ سُلَيم أنْ تتزوَّج حتَّى يَشِبَّ عن الطَّوْق، ويجلس ويتكلَّم، وقد رووا أنَّها قالت لأنسٍ ـ حين رضيت بأبي طلحة زوجًا ـ قمْ يا أنسُ فزوِّجْ أبا طلحة، فكان وليُّها في عَقْدها[2]!

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٠١)، ومسلم في الآداب (٢١٤٤)، عن أنس.

(٢) رواه النسائي في الكبرى (٥٣٧٤)، والحاكم (١٧٩/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. كلاهما في النكاح. عن أنس.

QaradawiBooks.com

إنَّنا إذا ذكرنا فضل أنس بن مالك الَّذي صحب رســول الله وخدمه عشــر ســنين، وســجَّل لنا من حياته وأقواله وأعماله وأخلاقه الكثير، وعاش قرابة قرن من الزمان يروي ويُفتي، ويُعَلِّم ويُرَبِّي، فلنذكر صاحبة الفضل على أنس، وهــي أمُّه الَّتي عرفت أين تضعــه. وكيف تختار له المدرسة والمُعَلِّم؟

فكانت المدرسة بيت النبوَّة، وكان المُعَلِّم محمَّدًا رسول الله.

قال أنــس: قدم النبيُّ المدينة وأنا ابن عشــر ســنين، فأخذت أُمِّي بيدي، فانطلقت بي إلى رســول الله، فقالت: يا رســولَ الله، إنَّه لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلَّا قد أتحفــك بتُحْفَة، وإنِّي لا أقدر على ما أُتْحِفُكَ به إلَّا ابني هذا، فخُــذْه ليَخْدِمَك ما بدا لك، فخدمتُ النبيَّ عشرَ سنين، فما ضربني ضربةً، ولا سبَّني سبَّة، ولا انتهرني، ولا عَبَس في وجهي[1].

وكانت تمدُّه بتوجيهها الســديد في مصاحبة رسول الله، رأته مرَّة في الطريق، فقالت: إلى أين يا أنسُ؟ فقال: في سرٍّ رسول الله. فأوصته هذه الوصيَّة الجليلة: احفظْ على رسول الله سِرَّه[2].

(١) رواه أبو يعلى (٣٦٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٧٠): فيه محمد بن الحســن بن أبي يزيد، وهو ضعيــف. وهو متَّفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٨)، ومســلم في الفضائــل (٢٣٠٩)، عن أنس رضي الله عنه، قال: قدم رســول الله ﷺ المدينة ليس لــه خادم، فأخذ أبو طلحة بيدي، فانطلق بي إلى رســول الله ﷺ، فقال: يا رســول الله، إنَّ أنسًا غلام كيس فليخدمك. قال: فخدمته في السفر والحضر، ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا؟

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٨٢)، وأحمد (١٣٠٢٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وأحبَّت أن تغمُر ابنَها بكلِّ ما تستطيع من بركة الرسول الكريم، قالت له مرَّة: يا رسولَ الله، خادمك أنس، ادعُ الله له، فقال: «**اللهمَّ أكثِرْ مالَه وولدَه، وباركْ له فيما أعطيتَه**»[١]. فكان أنسٌ أكثر الأنصار في البصرة مالًا، وعاش حتَّى رأى من ذريَّته أكثر من مائة نسمة!

المسلمة:

أسلمت أمُّ سُلَيْم عن بصيرة نَيِّرة، وعرفت مهمَّتها من أوَّل يوم، فعرضت الإسلام على زوجها الأوَّل فأبى وفارقها، ودعت أبا طلحة حين خطبها إلى الإسلام، فأسلم وتزوَّجها، وكانت أثيرةً عند رسول الله، لعُمْق إيمانها وجلالة مواقفها، وقوَّة شخصيَّتها، فكان يزورها ويُكرمها ويَقِيل عندها، وعند أختها أمِّ حَرَام، إذ كانتا في دارٍ واحدة، وكأنَّه بذلك يُعزِّيهما عن موت شقيقهما حرامٍ في بئر مَعُونَةَ شهيدًا في سبيل الله.

وكانت شديدةَ الحبِّ لرسول الله، حدَّث أنسٌ قال: أتانا النبيُّ ﷺ فقال عندنا (نام القيلولة) فعَرِقَ، فجاءت أمُّ سُلَيْم بقارورةٍ تسلُتُ فيها العرق، فاستيقظ النبيُّ ﷺ فقال: يا أُمَّ سُلَيْم، ما الَّذي تصنعين؟ قالت: هذا عَرَقُكَ، نجعله في طِيبِنا وهو من أطيب الرِّيح[٢].

وكانت تغزو مع النبيِّ ﷺ في فريقٍ من النساء المؤمنات يقُمْنَ ببعض الخدمات للجيش، فيَسقين القوم، ويُسْعِفْنَ الجرحى، وينقلن القتلى، ويقمن على المرضى، فإذا دعا الموقف في موقعة من المواقع إلى حمل

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٣٤)، ومسلم في الفضائل (٢٤٨٠)، عن أنس.
(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٣١)، وأحمد (١٢٣٩٦).

QaradawiBooks.com

الســلاح، تحوَّل الغزال أســدًا، ووقفت المرأة إلى جانب الرجل، تصدُّ بسلاحها أعداء الله!

وكذلــك رأينا أمَّ ســليم في غــزوةِ حُنَيْن، حين كمن المشــركون، وانكشف المسلمون، تتَّخذ خنجرًا، فيسألها أبو طلحة فتقول: اتَّخذتُه، إنْ دنا مِنِّي أحدٌ من المشركين بقرتُ به بَطْنَه[1]!

وحدَّث أنس، قال: دخل النبيُّ علينا، وما هو إلَّا أنا وأُمِّي، وأمُّ حَرَام خالتي، فقال لنا: «**قُوموا لأُصَلِّيَ لكم**» وكان ذلك في غير وقت الصلاة، فصلَّى بنا، فجعلني عن يَمِينه، ثمَّ دعا لنا أهلَ البيتِ بكلِّ خير.

قالت أمُّ سُلَيْم: لقد دعا لي رسولُ الله حتَّى ما أريد زِيادةً[2]!

تلك هي أمُّ سُــلَيْم، نموذجٌ كريمٌ للزوجة الصالحــة والأمِّ الفاضلة، ومَثَلٌ رفيع للمرأة المســلمة، في عقلهــا الناضج، وعاطفتهــا المتَّزنة، وإرادتها القويَّة، وإيمانها العميق.

* * *

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٨٠٩)، عن أنس.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر (١٩٤١/٤).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

أمُّ عُمَارة نَسِيبة بنت كعب

عن عمر بن الخطاب قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول في شأن أمِّ عُمارة: «**ما التفتُّ يومَ أُحُدٍ يمينًا ولا شمالًا إلَّا وأراها تقاتل دوني**»[1].

أسرتها:

هي نَسِيبة بنت كعب بن عمرو الأنصاريَّة الخَزْرَجِيَّة النجَّاريَّة، وكُنْيَتُها أمُّ عُمارة.

أخوها: عبد الله بن كعب أحدُ المجاهدين الَّذين شهدوا بدرًا، والثاني أبو لَيْلَى عبد الرحمٰن بن كعب، أحد الخاشعين البكَّائين من خشية الله، تزوَّجت بزَيْدِ بن عاصم، فولدت منه ابنيها: حَبِيبًا وعبد الله، المؤمنَيْن المجاهِدَين.

وخَلَف عليها من بعده غُزَيَّةُ بن عمرو، فولدت له تَمِيمًا وخَوْلة.

إسلامها:

حين أراد الله أنْ يكون للإسلام تربةٌ ينمو فيها غرْسُه وأرضٌ تقوم عليها دولته، ساق أبناء يثرب من الأوس والخزرج إلى موسم الحجِّ

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٤١٥/٨).

QaradawiBooks.com

فأسلم جماعة منهم على يد رســول الله ﷺ، وعادوا إلى قومهم فانتشر الإسلام بينهم، وكانوا يلتقون برسول الله في كلِّ موسم عند العقبة بمكَّة يوصيهم ويبايعهم، حتَّى كان العام الثالث لهم فتواعدوا عند العقبة أوسط أيام التشريق، وهم ثلاثة وســبعون رجلًا وامرأتان، فبايعوا النبيَّ عليه السلام أنْ يمنعوه ممَّا يمنعون منه نســاءهم وأبناءهم وأنفســهم، وكانت المرأتان اللتان شرَّفهما الله بهذه البيعة هما: أمُّ عُمارة، وأمُّ مَنِيع أسماء بنت عمرو.

روى الواقديُّ عن أمِّ عُمارة قالت: كانت الرجــالُ تُصَفِّق على يدي رســولِ الله ليلةَ العقبةِ والعبَّاس آخِذٌ بيده، فلمَّا بَقِيتُ أنا وأمُّ مَنِيعٍ نادى زوجي غُزَيَّة بن عمرٍو: يا رسولَ الله، هاتان امرأتان حضرتا معنا تبايعانِكَ. فقال: «**قد بايعتُهما على ما بايعتكم عليه، إنِّي لا أصافحُ النِّسَاء**»[1].

وهكذا أسلمت أمُّ عُمارة مع الســابقين، وبايعت مع المبايعين، لم يكن إســلامها تقليدًا لأســرة، ولا تبعيَّة لزوج، ولكنَّه كان إسلام العقل والقلب والإرادة، فوهبت نفســها لهذا الدِّين الَّذي آمنــت به، تعمل به وتعمل له، وتجاهد في سبيله: في البيت، في المسجد، في المَيْدان، في كلِّ مكان.

وكانت طموحة عالية الهمَّة، تريد أنْ تثبت للمرأة المسلمة مكانها بجوار الرجل المســلم، وكأنَّها لم يُرْضِ طموحَها أنْ يتحدَّث القرآنُ إلى الرجــالِ وتدخــل المــرأة تبعًــا، فأتت رســولَ اللهِ تقــول له: يا رسولَ الله، ما أرى كلَّ شيءٍ إلَّا للرجال، وما أرى النِّساء يُذْكَرْنَ في شيء. فاســتجاب اللهُ لها، ونزل أمين السماء إلى أمين الأرض بقرآنٍ يُتْلَى يُسَجِّل فيه موقف المرأة بجانب الرجل صراحةً لا ضمنًا، وقصدًا

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (١٠/٨).

QaradawiBooks.com

لا تبعًا. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥][(١)].

في ساحات الجهاد:

قال شاعرٌ عربيٌّ:

كُتِبَ الْقَتْلُ والْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ[(٢)]

وقال آخر:

خُلِقْنَا رجالًا للتَّجَلُّدِ والأَسَى وتِلْكَ نِسَاءٌ للبُكَا والمَآتِمِ[(٣)]

بيد أنَّ أمَّ عُمارة غيَّرت ظنَّ الشِّعْر، وأبطلت رأي الشاعِرَيْن، فلم ترضَ أنْ يكون نصيبُها جرَّ الذُّيُول عند النصر، ولا البكاء والعويل عند الهزيمة، بل كان همُّها أنْ تُسْهِم مع الرجل في اجتلاب النصر، ودَرْء عارِ الهزيمة.

وها نحن نراها تحضُر معظم الغزوات مع رسول الله ﷺ، تَخْدُم المُجاهدين، وتُحَرِّض المُقَاتلين، وتُثَبِّت المتردِّدين، وتقوم على

(١) رواه الترمذي في التفسير (٣٢١١) وقال: حسن غريب. والطبراني (٣٢/٢٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٦٥)، عن أم عمارة الأنصارية.

(٢) من شعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة. انظر: الكامل في اللغة (١٨٠/٣)، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣) من شعر أبي تمام. انظر: التمثيل والمحاضرة صـ ٣٠٦، نشر الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

الجرحى، وتحمــل الماء للعِطَاش، فــإذا جدَّ الجِدُّ أو انفــرط العِقْد، وناداها الموقف شَهَرَتْ سلاحَها، وقاتلت قتال الأبطال، وثبتت ثبات الجبال.

شهدت غزوة أُحُد هي وزوجها وابناها، ومعها شَنٌّ لتسقي الجرحى، ورأت انتصار المسلمين في الجولة الأولى، حتَّى غلب الضعفُ الإنسانيُّ على نفوس طائفة استهوتهم الغنائمُ وأرادوا الدنيا، وتركوا أماكنهم الَّتي عيَّنها لهم رسول الله، فتحوَّل ميزان المعركة، وأُتِيَ المسلمون من خلفهم، واضطربت الصفوف وانتشر النظام. وفي هذه اللحظات الرهيبة لم ينخلع قلب أمِّ عُمارة من هول الصدمة، ولم يكن ســلاحُها الصراخَ أو الدموع. لقد قاتلت وأبلت بلاءً حسنًا وهي حاجزةٌ ثوبَها على وَسَطِها، واقفة بين يدي الرسول تتلقَّى دونه الضربات والســهام، كأنَّها تُرْسٌ يحميه، حتَّى جُرِحَت اثني عَشَرَ جُرْحًا بين طَعْنة برُمْح أو ضربة بسَيْف. ولما أقبل ابن قَمِيئَةَ لعنه اللهُ يريد النبيَّ ﷺ كانت فيمن اعترض له، فضربها على عاتقها ضربةً صار لها فيما بعد ذلك غَوْرٌ أجوف، وضربته هي ضربات.

دخلت عليها أمُّ سَــعِيد بنت ســعد بن الرَّبِيع فقالــت: حدِّثيني بخبرِكِ يومَ أُحُد. فقالت: خرجت في أوَّل النهار ومعي سِقاءٌ فيه ماء، فانتهيــت إلى رســول الله ﷺ وهو فــي أصحابــه والرِّيــح والدولةُ للمسلمين، فلمَّا انهزم المسلمون انحزتُ إلى رسول الله فجعلتُ أُبَاشر القتالَ وأذبُّ عن رسول الله بالسَّيْفِ وأرمي بالقَوْس حتَّى خَلُصَتْ إليَّ الجِرَاح[1].

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٤١٢/٨، ٤١٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فلا غرو أن يذكر الرسول فضلها وينوِّه بشأنها، فقال: «**لمَقام نَسِيبة بنت كعب اليوم خيرٌ من مَقَامِ فلانٍ وفلانٍ، ما التفتُّ يَمِينًا وشمَالًا إلَّا وأراها تُقاتل دُوني**»[(١)]. وقال لابنها عبد الله: «**بارك اللهُ عليكم من أهلِ بَيْت، مَقَام أُمِّكَ خيرٌ من مَقَامِ فُلَانٍ وفلان، ومقام رَبِيبِكَ** (يعني: زوج أمِّه) **خيرٌ من مقام فلانٍ وفلان، ومقامُك خيرٌ من مَقام فُلان وفُلان، رحمكم اللهُ أهلَ بيت**»!

قالت أمُّ عُمارة: ادعُ الله أنْ نُرافقَكَ في الجنَّة.

قال: «**اللهمَّ اجعلْهم رُفقائي في الجنَّة**».

قالت: ما أبالي بعدَ ذلك ما أصابني من الدُّنيا[(٢)].

وفي الحُدَيْبِيَة: حين بلغ المسلمين أنَّ عثمانَ قتلته قريشٌ، وقف النبيُّ يُعلن في أصحابه أنَّ الله أمرني بالبَيْعة، فأقبل النَّاس يُبايعونه متزاحمين حتَّى تداكُّوا، فما بقي لهم متاعٌ إلَّا وَطِئوه، ثمَّ لبسوا السلاح ـ وهو معهم قليل ـ وقامت أمُّ عُمارة إلى عمودٍ كانت تستظلُّ به فأخذته بيَدِها، وجعلت منه سلاحًا وشدَّت سِكِّينًا في وَسَطِها[(٣)].

وفي حُنَيْن حين انكشف المسلمون نرى منظرًا عجبًا، امرأتين من الأنصار تقفان موقفًا رائعًا: أمُّ سُلَيْم بنت مِلْحَان معها خنجرٌ قد حزمته على وسطها وهي يومئذٍ حامل بابنها عبد الله، وأمُّ عُمارة تصيح بقومها الأنصار: أيُّ عادة هذه؟ ما لكم وللفرار؟ وشدَّت على رجلٍ من هوازن فقتلتْه وأخذت سَيْفَه[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٢.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٤١٤/٨، ٤١٥).

(٣) انظر: سبل الهدى والرشاد (٤٨/٥)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

(٤) إمتاع السماع للمقريزي (١٥/٢)، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

في اليمامة:

عاشت أمُّ عُمارة طَوَال حياة رسول الله تجاهد بجوار زوجها وابنَيْها، حتَّى لحق النبيُّ بالرفيق الأعلى، وكان يكفيها جهادها مع النبيِّ رصيدًا ضخمًا تلقى به الله. لكنَّ الجهاد ـ وإن كان صعب التكاليف مُرَّ المذاق ـ له حلاوة لا يسلُوها من ذاقها، ولا يُحِسُّ طعمَها القاعدون والمتقاعسون، وقد تذوَّقت صاحبتنا حلاوة الجهاد، ولذَّة الكفاح، فأبت إلَّا أن تشارك المجاهدين في حرب المرتدين المتمرِّدين في عهد الصديق أبي بكر، وشهدت معركة اليمامة مع خالد بن الوليد، تلك المعركة الرهيبة الَّتي دار القتال فيها بين المسلمين وبين مُسَيْلِمَة الكذاب ومن تبعه من المتعصِّبين والمضلِّلين، وقد عاهدت الله أنْ تموت دونَ مُسَيْلِمة أو يُقتل، فإنَّ لها عنده ثأرًا أيَّ ثأر. أليس هو قاتل ابنِها حبيبٍ الَّذي كان النبيُّ قد بعثه إلى مُسَيْلِمة برسالته، فكان إذا قال له: أتشهد أنَّ محمدًا رسول الله؟ قال: نعم. فإذا قال: أتشهد أنِّي رسول الله؟ سكت، وقال: أنا أصمُّ لا أسمع. وفعل ذلك مرارًا فغاظ ذلك اللعينَ الكذَّاب، فما كان منه إلَّا أن قتله وقطَّعه عضوًا عضوًا[1]، مخالفًا بذلك التقاليد المرعيَّة أنَّ الرُّسُل لا تُحْبَس ولا تُقْتَل.

فلا عجب أن تستبسل ابنةُ كعب في المعركة، تدفعها عاطفة الأمِّ الموتورة وعقيدة المؤمنة القويَّة، وإلى جنبها ابنها الثاني عبد الله يحفزه نور اليقين في فؤاده، وتلهبه نار الثأر لأخيه في حناياه، وشاء القدر أن يلتقي سيفه وحربة وَحْشِي (قاتل حمزة) على مُسَيْلِمة، رماه وحشيٌّ بالحربة ـ وهو مسدَّد الرَّمْيَة ـ وضربه عبد الله بالسيف ـ وهو

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (٣٢٠/١).

QaradawiBooks.com

فتَى الحروب ورَبِيب الجهاد ـ فأطاحت بالملعون، وارتاحت الأرض من شرِّه[١].

أمَّا الأمُّ فقد قُطِعَتْ يدُها، وجُرِحَتْ بضعةَ عَشَرَ جُرْحًا أخرى تضاف إلى جراحها القديمة[٢]، وبقيت آثارها في جسدها مفخرة ناطقة لها خاصَّة للمرأة المسلمة عامَّة، هذا في الدُّنيا، وفي الآخرة تكون أشهادها عند الله، حين تُبعث بها يوم القيامة تقطر دمًا: اللون لونُ الدمِ والرِّيحُ ريحُ المِسْك.

* * *

(١) انظر: أسد الغابة لابن الأثير (١٤٦/٣)، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٢) الإصابة لابن حجر (٤٤١/٨).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

عِبْرة

أرأيت أيها الأخ المسلم؟! أرأيتِ أيَّتُها الأخت المسلمة أنَّ الإسلام العظيم الَّذي نسعد بالإيمان به، ونهتدي بنوره المبين، ونستظلُّ بتعاليمه الوافرة، نشعر بأخوته الوثيقة بيننا وبين (٩٠٠) مليون من أبنائه؟! هذا الإسلام لم يأتِنا مصادفة أو بفعل الخوارق، ولم يَصِلْنا في طريقٍ مفروشٍ بالسُّنْدس والإستبرق، ولكنَّه وصلنا في طريق مضرَّج بالدماء، مفروش بالجماجم والأشلاء، شارك فيها الرجال والنساء، والشيب والشباب.

فاحرصي أختي المسلمة على هذا التراث الغالي، وجاهدي من أجله.

أمَّا أنت أيها الأخ المسلم، فلا يكُنْ نصيبُك فيه أقلَّ من نصيب أولئك النساء.

* * *

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾	٦١	٢٢
سورة النحل		
﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾	٤١	٣٨
سورة الحج		
﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	٢٥	٤١
سورة النور		
﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾	٢٦	١٥
سورة الأحزاب		
﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾	٣٥	٤، ٥٤
سورة المسد		
﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	١	٢٥

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أبدلكِ الله بنِطَاقِكِ هذا نِطَاقَيْن في الجنَّة	٣٦
أتانا النبيُّ ﷺ فقال عندنا فعَرِقَ	٥٠
أتى جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، هذه خديجة	١٨
أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة	١١
التمس ولو خاتمًا من حديدٍ	٢٦
اللهمَّ اجعلْهم رُفقائي في الجنَّة	٥٦
اللهمَّ أكثِرْ مالَه وولدَه، وباركْ له فيما أعطيتَه	٥٠
اللهمَّ باركْ عليهما وباركْ فيهما، وباركْ لهما في نَسْلِهما	٢٨
اللهمَّ هؤلاء أهل بَيْتي وخاصَّتي، أذهبْ عنهم الرِّجْس، وطَهِّرهم تطهيرًا	٢٢
إنَّ بني هِشَام بن المُغِيرة استأذنوني في أن يُزَوِّجوا ابنتَهم عليَّ بن أبي طالب	٣٣
إنَّ جبريل كان يعارضني القرآن كلَّ سنة مرَّة، وإنَّه عارضني العام مرَّتَيْن	٣٤
إنِّي لأحبُّ حبيبَها	١١
ب	
بارك اللهُ عليكم من أهلِ بَيْت، مَقَام أُمِّكَ خيرٌ من مَقَامِ فُلَانٍ وفلان	٥٦

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ت	
تخيَّروا لنُطَفِكم	٢٢
ج	
جاءكم أبو طَلْحَةَ وغُرَّةُ الإسلام بين عينَيْه	٤٦
خ	
خرجت في أوَّل النهار ومعي سِقاءٌ فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ	٥٥
د	
دخلتُ الجنَّة، فسمعتُ خَشَفَةً بين يَدَيَّ، فإذا أنا بالرُّمَيْصاء، زوج أبي طلحة	٤٤
ز	
زمِّلُوني زَمِّلُوني، لقد خشيتُ على نفسي	١٧
س	
سُرَّ به رسولُ الله وحنَّكه بيده	٤٢
ف	
فاطمةُ بَضْعةٌ مِنِّي، يُؤذِيني ما آذاها، ويَرِيبُني ما رابها	٥، ٢١
ق	
قد بايعتُهما على ما بايعتكم عليه، إنِّي لا أصافحُ النِّسَاء	٥٣
قدم رسول الله ﷺ المدينة ليس له خادم، فأخذ أبو طلحة بيدي	٤٩
قمْ أبا تُرابٍ، قم أبا تُرَابٍ	٣١
قُوموا لأُصَلِّيَ لكم	٥١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ك	
كان عليه السلام يصلي يومًا بالكعبة وبعضُ سفهاء المشركين جالسون	٢٤
كانت إذا دخلت على النبيِّ ﷺ قام إليها فقبَّلها	٣٢
كأنَّما تنحتون الفضَّة من عُرْضِ هذا الجبل	٢٦
كمُل من الرجال كثيرٌ، ولم يكمُل من النساء إلَّا مريمُ ابنةُ عمران	٥، ١٦
ل	
لا تبكي يا بنيَّة، فإنَّ اللهَ مانعٌ أباك	٢٤
لا كربَ على أبيكِ بعدَ اليوم	٣٥
لا واللهِ، ما أبدلني اللهُ خيرًا منها، آمنتْ بي إذ كفر الناس	٢٠
لعلَّ اللهَ أنْ يُبارِكَ لكما في ليلتِكما	٤٨
لمَّا خرج رسولُ الله ﷺ إلى الهجرة، وخرج أبو بكرٍ معه	٣٧
لما خرج رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ رضي الله عنه ، أتانا نفرٌ من قريشٍ	٣٧
لمَقام نَسِيبة بنت كعب اليوم خيرٌ من مَقَامِ فلانٍ وفلانٍ	٥٦
م	
ما التفتُّ يومَ أُحُدٍ يمينًا ولا شمالًا إلَّا وأراها تقاتل دوني	٥٢
ما جاء بكِ يا فاطمة؟	٣٠
ما لأبي عُمَيْرٍ حزينًا؟. فقالت: يا رسولَ الله، مات نُغَيْره الَّذي كان يلعبُ به	٤٧
مكانَكما، ألا أخبرُكما بخيرٍ ممَّا سألتُماني؟ قالا: بلى	٣٠
من بطَّأ به عملُه لم يُسْرع به نَسَبُه	٣٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
و	
والله لا أعطيكما وأدَع أهل الصفة تَطْوَى بطونهم، لا أجد ما أُنفق عليهم	٣٠
وأيُّكم مثلي؟ إنِّي أبيتُ يُطْعِمُني ربِّي ويَسْقِيني	٣١
وايمُ الله، لو سرقت فاطمةُ بنت محمَّد لقطعتُ يَدَها	٣٣
وما يَمْنَعُني وقد أصلحتُ بين أحبِّ اثنين إليَّ؟	٣٢
وهل عندك شيء؟. فقلت: لا. قال: فأين دِرْعُك الحُطَمِيَّة الَّتي أعطيتُكَ يومَ كذا	٢٦
ي	
يا فاطمة بنت محمَّد، اعمَلِي فإنِّي لا أُغْنِي عنكِ من الله شيئًا	٣٤

❊ ❊ ❊

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

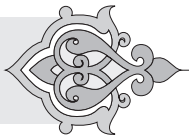

❖ **من الدستور الإلٰهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

• **تـمـهـيـد** **٧**

❖ **خديجة بنت خويلد** **١١**

خديجة في الجاهليَّة ١١

خديجة التاجرة ١٢

شريكة التِّجارة تصبح شريكة الحياة ١٣

زواجٌ مثاليٌّ ١٤

خديجة المؤمنة ١٦

وفاةٌ ووفاء ١٩

❖ **فاطمة الزهراء** **٢١**

اللهمَّ هؤلاء أهلي ٢١

ميراث وتربية ٢٢

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

عليٌّ يخطب فاطمة ٢٥
عُرْسٌ نموذجيٌّ ٢٧
تعاونٌ على أعباء الحياة ٢٨
مكان فاطمةَ من رسول الله ٣٢
واكربَ أبتاه ٣٤
❖ **أسماء ذاتُ النِّطاقَيْن ٣٦**
نسبها وإسلامها ٣٦
أسماء الزوجة ٣٨
أسماء الأمُّ ٣٩
مع الحجَّاج ٤١
❖ **أمُّ سُلَيْم الرُّمَيْصاء ٤٤**
بيتُها ونسبها ٤٤
الزوجة ٤٥
الأمُّ ٤٨
المسلمة ٥٠
❖ **أمُّ عُمَارة نَسِيبة بنت كعب ٥٢**
أسرتها ٥٢
إسلامها ٥٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

في ساحات الجهاد ٥٤

في اليمامة ٥٧

❖ **عِبْرة** **٥٩**

• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** **٦٣**

• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** **٦٥**

• **فهرس الموضوعات** **٦٩**

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

فهرس كتب المجلد

١٤٠ـ الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته ٥

١٤١ـ الدكتور محمَّد عمارة الحارس اليقظ المرابط
على ثغور الإسلام ٢٦١

١٤٢ـ عمر بن عبد العزيز ٣٨١

١٤٣ـ نساء مؤمنات ٤٢٧

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com